روح

رواية من أدب التشويق و الخيال

د. غفار محمد

روح ..

الإهداء :

إلى أحبائنا الذين سبقونا :

نزعت منك رداءً كنت تلبسه

من التراب و عاد النور للنور

روح ..

أنت هنا في عالم الخيال، وكل تشابه مع الواقع في الأسماء و الأحداث و كثير من الأماكن هو محض صدفة ..

روح ..

محتوى الكتاب :

- أفاتار ..
- شجرة الأراك ، حيث تبدأ الحكاية و تنتهي ..
- صرخة صخرة ..
- عنخ أوم ..
- العالم الآخر (حيّ بن يقظان) ..
- زهرة أبوردة ..
- لوح الويجا ..
- متى تقرع الأجراس ؟
- حلم .. حقيقة .. أم مرض نفسي .. ؟!

أفاتار

الولايات المتحدة الأمريكية

كاليفورنيا / سان دييغو ..

2077 م ..

سيكويا، رجل في مطلع العقد السادس من العمر، يقف كأنما الزمن لم ينل من جوهره بقدر ما أهداه مسحة من الوقار. بنيّ الشعر، لكنّ خصلاً بيضاء بدأت تتسلّل من صدغيه و تتكاثر كما لو أنها إشارات من عالم آخر، رسائل صامتة من الماوراء تَوشِمُ رأسه بالخبرة والعُمْق. عيناه، بلونٍ عسليّ مُعتّق، لا تنظر إلى الأشياء بسطحها بل تنفذ كالسهم إلى ما خلفها، كأنها اعتادت أن ترى ما لا يُرى، وأن تفتّش في ثنايا الغيب عن لغةٍ أبعد من الحروف.

ملامحه تجمع بين حدّة الذكاء ورهافة التأمل : جبهة عريضة توحي بانشغالات فكرية ثقيلة، شفاه رفيعة مترددة في البوح، تحمل أثر صراعٍ دائم بين ما يمكن أن يُقال وما ينبغي أن يُكتم. في وجهه خطوط حفرتها سنوات التدريس والبحث، لكنها ليست مجرد تجاعيد زمن، بل علامات تشبه خرائط سماوية، يقرؤها من يعرف أن عمر الإنسان ليس إلا طبقات من التجربة.

كأنّ مهنته، كبروفيسور في الماورائيات، انعكست على جسده ووجهه معًا : تلك الخصلات البيضاء تبدو كأدلة حسية على عبوره المستمر بين الواقع والمجهول، وذلك السكون العميق في ملامحه يوحي بشخصٍ يجلس على تخوم العالمين، يحاول أن يصغي إلى الهمس الغامض خلف ستائر الوجود. في حضوره، يُشعرك بأنك أمام رجل لا يتحدث عن الماوراء فحسب، بل يسكنه، ويجعل من هيئته نفسها نصًّا مفتوحًا على احتمالات الغيب.

عائلته، كأنها مرآة لوجوده المعلَّق بين العالمين، تتوزع بين نغمٍ موسيقي، وعقلٍ يحاول فكّ ألغاز النفس، وقلبٍ صغيرٍ يرتجف أمام جرحٍ لم يُلتأم بعد.

زوجته **بريجيت** ، موسيقية في طباعها قبل أن تكون في مهنتها، تعيش بين مفاتيح البيانو كما لو أنها تعيش بين مفاتيح الوجود. الأصابع التي تعزف على البياض والسواد ليست مجرد أدوات لإنتاج لحن، بل أدوات لاستحضار عوالم كاملة : الأبيض درجات الواقع المضيء، والأسود أصداء العالَم الآخر حيث الظلال والسرائر. حين تجلس أمام البيانو، تبدو كعرافة تنسج سُلّمًا صوتيًا يربط الأرض بالسماء، والملموس بما لا يُمس. في وجودها، يكتمل سيكويا، كأن موسيقاها هي البوابة التي تتيح له عبور الماورائيات التي يدرسها، ولكن عبر الإحساس لا عبر النظرية.

الابنة **كارمن**، طالبة علم النفس، تحمل من أبيها ولع التفسير ومن أمها موهبة الإصغاء. لكنها تسلك طريقًا مختلفًا : تفتّش في أغوار العقل البشري، تلاحق الهواجس والذكريات كما يلاحق أبوها الأرواح والمعاني. تنظر إلى أخيها الصغير كمن يرى في ذاته موضوعًا للدراسة وحقلًا للمحبة معًا. فهي ليست أختًا وحسب، بل أيضًا مرشدة صغيرة، تحاول أن تفتح أمامه طريقًا للخلاص. تعتقد أن جرحه ليس في اللسان بل في الذاكرة، في تلك اللحظة التي اخترقته كالسهم : صوت مجهول، مباغت، تسلّل من خلف الظلام فترك في داخله خوفًا يتلعثم حتى اليوم على هيئة تأتأة.

أما الابن **رودولف**، ففيه رهافة لا تليق بسنّه. كل كلمة يحاول نطقها تبدو وكأنها تمر عبر غابة من الأشواك، تتوقف وتتعثر، لكن عينيه تبوحان بما لا يقال. هو مرآة هشّة للبيت، نقطة ضعف محبّبة

تُذكّر الجميع أن الوجود ليس كله متماسكًا، بل فيه انكسارات هي بحد ذاتها شكل من أشكال الجمال كما تروج فلسفة كين تسوجي اليابانية تماماً ..

وهكذا، تتوزع هذه العائلة بين صوت البيانو الذي يترجم سرّ الوجود، وبين العقل الذي يحلّل النفس ويحاول مداواتها، وبين الصمت المقطّع بارتعاشات الكلام. بيتهم أشبه بمسرح صغير، يجتمع فيه العلم والفن والجرح، ليكوّنوا معًا أسرة تسكن على تخوم الظاهر والباطن، مثل سيكويا نفسه.

سيكويا في مهنته ليس مجرد بروفيسور يجلس خلف مكتبه ليقرأ نظريات ويجمع المراجع؛ بل هو أقرب إلى رحّالة في المجهول، يمضي حياته بين خرائط اللامرئي. حين يتحدث عن الأرواح، تشعر أنه يخاطب حضورًا يجلس إلى جواره، لا أنه يروي فرضية أكاديمية. الأشباح، الجن، العمالقة، الأقزام، الجماد الذي ينطق بلسان غير مألوف، كلها بالنسبة له ليست مجرد أساطير للتسلية، بل شظايا من الحقيقة، مبعثرة عبر الأزمنة والثقافات، في انتظار من يملك الجرأة ليلملمها.

كرّس سنواته لتدريس **الماورائيات** بوصفها علمًا من نوع آخر، لا يحدّه المختبر ولا يضبطه الميكروسكوب، بل يفتح مجاله عبر المخيال الجمعي والتجارب الفردية الغامضة. يؤمن أن كل حضارة تركت على صخورها أو في كتبها أو في أناشيدها أثرًا من هذا العبور، وأن الأرواح التي تتكرر في الحكايات الشعبية ليست محض خرافة، بل رموز لكائنات تتنفس على هامش عالمنا.

لكن تعمقه الأكبر كان في **الروحانيات**: حيث يلتقي الدين بالتراث، والأسطورة بالعقيدة. كان يقرأ نصوص الأديان كما لو أنها خرائط

سرية تشير إلى ممرات خفية بيننا وبين ما بعد الموت. ينظر إلى الطقوس، سواء في شرق الأرض أو غربها، باعتبارها محاولات بشرية لفكّ شفرة الغياب. من التصوف الإسلامي إلى المعتقدات الشامانية، من ترانيم البوذية إلى أساطير الإغريق، كان يرى خيطًا واحدًا يربطها جميعًا : ذلك الشوق العميق لمعرفة ما يحدث للروح حين تغادر الجسد.

وفي محاضراته، لا يقتصر على العرض الأكاديمي، بل يستدعي الشغف الفلسفي : يسأل طلابه إن كانت الأرواح انعكاسًا لوعينا، أم أننا نحن انعكاس لها. يسألهم إن كان الجماد الناطق مجرد استعارة شعرية، أم أن اللغة تسكن الحجر بطرق لم نكتشفها بعد. يضعهم أمام العالم الآخر، لا كعقيدة دينية ثابتة، بل كأفق مفتوح ينتظر التأمل.

لقد صار سيكويا، مع مرور السنوات، أشبه بجسر : بين العلم والأسطورة، بين الأرض والسماء، بين الإنسان وما يظن أنه يجاوره في الظلام. في وجهه الموشوم بالتجربة، وفي كلماته التي تتردد كأصداء في قاعة المحاضرات، يلمس المرء أن الماورائيات عنده ليست مجالًا للدراسة وحسب، بل قدرًا يسكنه منذ وُلد.

سيكويا، رغم وقاره وعمق حضوره، لم يكن يخلو من ذلك الاضطراب الذي ينهش عقله في صمت : **اضطراب الشخصية الوسواسية القسرية**. لم يكن الأمر مجرد ميل إلى النظام، بل هوس بالكمال، كأن الفوضى تهدد كيانه في الصميم. مكتبه مرآة دقيقة لروحه : الكتب مصطفة بزاوية حادة واحدة، الأقلام مصفوفة كجنود في طابور، والأوراق مرتبة بحيث لا يعلو طرف على آخر. أي انحراف بسيط عن هذا النظام يُثير في داخله قلقًا أشبه بالعاصفة.

محاضراته الجامعية امتداد لهذه الوسواسية المهيبة : على شاشة العرض، تتناسق الألوان بدقة لا تسمح بزيادة أو نقصان، الصور مختارة بعناية مهووسة حتى لتبدو مثالية أكثر من الواقع، أما نبرة صوته عبر مكبّر الصوت فهي مدروسة، بحيث تحمل ترددًا معينًا يُرضي أذنه الداخلية. لم يكن يترك شيئًا للصدفة؛ كل تفصيلٍ يجب أن يُعاد صقله حتى يلمع بالكمال. وهكذا، تتحول المحاضرة من درس إلى عرض مسرحي، مُعدّ بعناية مبالغ فيها، لكنه يترك في الطلاب أثرًا من الدهشة والرهبة معًا.

إلا أن وسواسه الأكبر، والأقرب إلى عقله و قلبه، لم يكن في الأوراق أو الصور أو الألوان، بل في **فكرة مسيطرة** واحدة تستبد به : **الروح**. هذه الفكرة لم تفارقه قط، كانت كضيفٍ أبدي يشاركه كل لحظة من حياته. في اليقظة تطلّ من بين كتبه، وفي النوم تزوره على هيئة رؤى متقطعة، في العمل تقاطعه وسط الشرح، وفي الراحة تهمس في أذنه. يسأل نفسه بلا انقطاع : ممَّ صنعت الروح؟ كيف تشعر؟ بأي طريقة تغادر الجسد حين يجيء الموت؟

لكن السؤال الأشد إلحاحًا، والأكثر جدلية كان : هل الروح موجودة أصلًا؟ أم أن الأديان كذبة مختلقة كبرى صنعها العقل الإنساني كي يحتمل فكرة الفناء؟ هل نحن، في النهاية، مجرّد خليط كيميائيات معقّدة، مزيج من خلايا ومواد تتحلل لتكون غذاءً للحشرات والديدان عقب الوفاة ، لا أكثر؟

هذا الصراع لم يكن مجرد نقاش فكري بالنسبة له، بل فكرة مسيطرة، أشبه بتيار كهربائي دائم يسري في دماغه، يشدّه تارة نحو الإيمان وتارة نحو العدمية. وبين هذين النقيضين، عاش

سيكويا حياته : رجلًا مهووسًا بالكمال، مرتبًا في كل تفصيل، لكنه في أعماقه غارق في فوضى وجودية لا يملك لها نظامًا.

أفنى سيكويا عقودًا من عمره كما يُفنى السالك عمره في رحلة حجّ لا نهاية لها. لم يكن طريقه معبّدًا ولا مضيئًا، بل متاهة متشابكة من الكتب والرموز والتجارب. منذ شبابه، أدرك أن سرّ الروح لا يطلّ من نافذة واحدة، فغاص في النصوص الدينية كما يغوص غواص في بحرٍ يفتّش عن لؤلؤة خفية. قرأ الأديان لا باعتبارها عقائد جامدة، بل باعتبارها شهادات بشرية على ما يتجاوز الإنسان : من النفخة الأولى في سفر التكوين إلى حديث الصوفي عن "النَفَس" الذي يربط الكائن بخالقه، من أناشيد الفيدا إلى مزامير داوود، من الإنجيل إلى القرآن، كان يبحث عن خيط واحد يربط هذه الأصوات المختلفة في نغمةٍ كونية واحدة.

لكن شغفه لم يتوقف عند النصوص، بل حمله إلى برديات مصر القديمة، حيث الروح تُوزن بريشة ماعت في قاعة الحساب. وإلى ألواح بابل حيث النفس ظلٌّ يرافق الجسد في عوالم أخرى. وإلى أساطير اليونان، حيث الأرواح تعبر نهر ستيكس بأجر زهيد من نحاس. كل حضارة كانت بالنسبة له محاولة أولية لتسمية المجهول، لتصوير ما لا يمكن رؤيته. كان يتأمل الرموز كمن يقرأ رسائل مشفرة : أجنحة فراشة، جعران ، شجرة حياة ، زهرة لوتس ، أنفاس، طيور، نيران .. كلها استعارات لجوهر واحد يتوارى خلف الكلمات.

ورغم ذلك، لم يكتفِ بالرموز والأساطير، بل جرّب أن يستنطق الروح بأدوات العلم. قضى سنوات يقرأ تجارب الفيزيولوجيين

الذين حاولوا قياس وزن الجسد قبل وبعد الموت، يراجع سجلات الأطباء الذين رصدوا تجارب الاقتراب من الموت، ويتأمل في تجارب معملية ادّعت التقاط صورٍ للأرواح أو تسجيل أصواتهم. ومع ذلك، في كل مرة، كان العلم يخذله : الأرقام مرتبكة، النتائج متناقضة، الأدلة تتبخر بين أصابع المختبر. كأن الروح نفسها تتلاعب بالباحثين، تسمح لهم بالاقتراب حتى حافة الاكتشاف ثم تنسحب تاركةً وراءها فراغًا.

سنواته الطويلة صارت سلسلة من المحاولات التي تنتهي بالفشل، لكنه لم يرها خيبات، بل إشارات. فكل تجربة علمية تسقط في العدم، وكل رمز ديني يغوص في الغموض، كان يعلّمه أن الروح ليست حقيقة تُمسك بسهولة، بل سؤال أزلي يُلاحق العقل والخيال معًا. وهكذا، صار سيكويا رجلًا يحمل على كتفيه مكتبة من النصوص، ومتحفًا من الرموز، ومختبرًا من التجارب، لكنه ما زال في أعماقه يقف على العتبة : يتأمل الباب المغلق، ويحاول أن يفتح قفله بكلمة، أو بمعادلة، أو ربما بصمتٍ طويل.

الأسبوع القادم، سيكون المدرج الجامعي مسرحًا لمحاضرة ينتظرها الجميع بشغف وفضول يكادان يختلطان بالرهبة. إنها محاضرته الأهم، ليس لأنها تضاف إلى سيرته الأكاديمية فحسب، بل لأنها تشبه إعلانًا عن عصارة عمرٍ كامل من البحث والتأمل والصراع الداخلي لعقود كخلاصة هو على وشك أن يشاركها مع الآخرين ، ظل سيكويا يفتّش عن الروح في النصوص والطقوس والأساطير والتجارب، واليوم قرر أن يخلع عنها ستائر الغموض قدر ما يستطيع، ليعرضها أمام العقول المتعطشة كجراحٍ يشرّح جسدًا في قاعة عمليات. غير أنه لا يشرّح اللحم والدم، بل ما وراءهما : الروح نفسها.

الدعاية للمحاضرة سبقت موعدها بأسابيع، ملأت لوحات الجامعة والإعلانات الإلكترونية، ترافقها صورة البروفيسور سيكويا، بملامحه الوقورة وخصلاته الموشّحة بالشيب، وعنوان يستفزّ المخيلة :

(**حقيقة الروح** : **ما بين الوجود والعدم**)

لم يكن غريبًا أن يتوقع الجميع حضورًا كثيفًا، فاسم سيكويا وحده كفيل بجذب الحشود، فضلًا عن موضوع يمسّ جوهر الإنسان ويطرح أسئلة مؤجلة منذ بدء التاريخ.

الطلاب يتناقلون الخبر بحماسة، الأساتذة يتجادلون في الممرات : هل سيقدّم نظرية جذرية تُحدث صدمة في الأوساط الأكاديمية؟ أم سيكتفي بإعادة صياغة ما قيل من قبل بلغة جديدة؟ أما هو، فكان يستعد كما لو أنه يتأهب لعملية جراحية نادرة : كل شريحة في العرض الإلكتروني مرتّبة بعناية مهووسة كمشارط متأهبة للتشريح، الألوان متناغمة ، الصور مختارة بعناية شاعر ينتقي كلماته ، والنبرة التي سيتحدث بها مدروسة على نحو يوازن بين الهيبة والدفء.

في داخله، كان يشعر أن هذه المحاضرة ليست مجرد مناسبة مهنية، بل مواجهة نهائية مع السؤال الذي أكل سنوات عمره :

ما الروح فعلًا ؟

هل هي جوهر خالد، أم مجرد وهمٍ جميل صنعته مخاوف الإنسان من الفناء؟ في تلك الساعة المنتظرة، سيقف سيكويا أمام جمهور واسع، لا كأستاذ يقدّم مادة أكاديمية، بل كرحّالة عاد من رحلة طويلة في المجهول ليكشف ما رآه هناك.

ستكون المحاضرة لحظة فاصلة : إما أن تُخلّده في ذاكرة طلابه كمن تجرأ على الإمساك بما لا يُمس أو يرى، أو أن تتركه أسيرًا

لشكوكه التي تلاحقه بلا نهاية. لكنه، في كل الأحوال، سيصعد المنبر وفي قلبه يقين واحد : أنه مقبل على أهم جراحة في تاريخه، جراحة الروح أمام أعين الملأ و كأنما روح أندرياس فيزاليوس تناسخت إلى جسده و التلاميذ يتحلقون حوله لانتهال المعرفة من دروس تشريحه للجسد البشري في ومضات من عصر نهضة جديد .

******

بعد أسبوع .. مدرج الجامعة

محاضرة روحية تخاطب الأرواح ..

كان اليوم المنتظر قد حلّ أخيرًا. منذ الصباح، ازدحمت طرقات الجامعة بوجوهٍ مشدودة بالترقب، طلاب يهرولون ليحجزوا أماكنهم في المدرج الكبير، وأساتذة يرتدون عباءاتهم الأكاديمية بوقار، ورجال دين من طوائف متعددة جاؤوا بدعوة رسمية ليشهدوا لحظةً قد تغيّر النظرة إلى الروح نفسها. كذلك حضر فلاسفة، بعضهم شُهرة في عالم الفكر، جلسوا في مقاعد متقدمة وهم يتبادلون النظرات والابتسامات الجافة التي تخفي حدة انتظارهم. كان المشهد مزيجًا غير مألوف : شباب يملؤهم الحماس، شيوخ تغشى وجوههم هيبة الإيمان، مثقفون يتأملون بعين الشك، وباحثون جاءوا يطلبون تفسيراً مؤجلاً منذ الأزل .

المدرج بدا كفضاء احتفالي مهيب : صفوف المقاعد امتلأت بسرعة، والمسرح في المقدمة مُجهّز بشاشة عرض عملاقة، مضاءة بخلفية هادئة ذات ألوان متناغمة تليق بوسواس سيكويا المعروف بالدقة. فوق المنصة، انتصب منبر خشبي مصقول، يتوسطه ميكروفون مضبوطة درجته الصوتية بعناية، وكأن المكان نفسه قد هيأ لاستقبال الحقيقة.

بدأ المقدم كلمته بصوتٍ رزين، مُرحّبًا بالحضور :

= أيها السيدات والسادة، نلتقي اليوم في حدث استثنائي، ليس محاضرة عادية، بل تتويجًا لعقود من البحث المضني، والسفر في المجهول، والتأمل في سرّ الإنسان الأعظم : الروح.

تحدث عن سيكويا كما لو كان يقدّم نبيًّا للمعرفة بسبب توجهه المهني الروحاني : بروفيسور في الماورائيات، كرّس حياته للتنقيب بين النصوص المقدسة وألواح الحضارات القديمة، خاض التجارب العلمية رغم فشلها، وجعل من وساوسه نظامًا يضيء للآخرين. أشار المقدم إلى كتبه التي أحدثت جدلاً في الأوساط الأكاديمية، وإلى محاضراته السابقة التي جمعت بين المنهجية العلمية واللمسة الفلسفية، وإلى سمعته التي تجاوزت جدران الجامعة لتصل إلى المؤتمرات الدولية.

الجميع أصغى بتركيز، حتى همهمة الطلاب خفتت، وكأن صدى الكلمات يهيئهم للقاء رجلٍ عاش حياته في مطاردة ما لا يُمسك.

ثم جاء الإعلان الذي انتظره الجميع :

= أيها الحضور الكريم، نرحب الآن بالعالم والمفكر ، بروفيسور سيكويا.

وقف المدرج على وقع التصفيق، لكن التصفيق بدا غير كافٍ لهيبة اللحظة. سيكويا تقدّم بخطوات واثقة، هادئة، لا يتعجّل ولا يتباطأ. وشيب صدغيه يلمع تحت الأضواء كوسام من الزمن. كان يرتدي بدلة داكنة بسيطة، لا تزهو بالفخامة بل بالتقشف، في دلالة على تواضعه المعروف. في وجهه، ارتسمت تلك السكينة التي لا تأتي

إلا ممن عاش طويلًا مع الأسئلة الكبرى.

حين بلغ المنصة، لم يلوّح بيده ليطلب الصمت؛ بل كان صمته وحده كافيًا ليوقف كل حركة في المدرج. حتى أوراق الطلاب توقفت عن الخربشة، وحتى تنفّس البعض بدا محجوبًا. لم يكن في الموقف صخب، بل رهبة تُشبه رهبة الكنائس والمعابد حين يبدأ الطقس.

وقف سيكويا هناك، ثابتًا كالركيزة، عيناه تمسحان الحضور في هدوء، دون استعراض. تواضعه لم يكن انكسارًا، بل قوة ناعمة، وثقته لم تكن غرورًا، بل رسوخ من جرّب أن يغوص في المجهول وعاد ليحكي ما رآه. لحظة صمته تلك، قبل أن ينطق بحرف، كانت أبلغ من أي مقدمة، كأن المدرج بأسره تحوّل إلى أذن واحدة تستعد للإصغاء.

لقد بدا المشهد كما لو أن الزمن نفسه توقف، وأن كل من في القاعة أدرك أنه على وشك أن يكون شاهدًا على حدثٍ قد لا يتكرر : محاولة إنسان جريئة أن يشرّح الروح، لا بسكين، بل بالكلمة.

وقف سيكويا أمام الجمع، وألقى نظرة طويلة على المدرج وقد امتلأ حتى آخر مقعد، ثم قرّب الميكروفون ببطء، وكأن لحظة الحقيقة تحتاج إلى طقس خاص. بصوتٍ هادئ عميق استهلّ كلامه بعد الترحيب :

= منذ أن وعى الإنسان نفسه، والروح تسكن مخيلته كأعظم ألغاز الوجود. آلاف السنين مرّت، وسؤالها حاضر، يثير رهبةً في القلوب، ويُسيل الحبر على المخطوطات والكتب، ويستنزف الساعات الطوال في المناظرات والمجالس. من مصر القديمة إلى اليونان، من معابد الشرق إلى كنائس الغرب، ظلّت الروح لغزًا تلاحقه الكلمات ولا تُمسك به. هي الحاضر الغائب، القريبة البعيدة، التي لا تنطفئ نار السؤال عنها في أي زمن.

سكت لحظة، كأنه يترك الفرصة للحاضرين أن يستحضروا صدى هذه الرحلة الطويلة. ثم أردف :

= الفهم الشائع بين الناس عن الروح بسيط، كافٍ كي يرضي الضمير و ثقيل الوطأة على العقل : الروح عند العوام كائن غير مرئي يسكن الجسد، ويغادره ساعة الوفاة، في طقس يتكرر منذ الأزل. كثيرون يرون هذا الرحيل فجيعةً كبرى تستدعي البكاء والانكسار، كأن الموت انكسار لكل ما فينا. لكنني أقول لكم اليوم : هذه النظرة مغلوطة. فليست الروح كما يتوهمها الناس و ليست أيضاً مأساة تُغادرنا، بل هي حركة طبيعية في مسيرة كبرى، انتقال أكثر منه خسارة، امتداد أكثر منه انقطاع .. احتفال أكثر منه فجيعة

ارتفعت بعض الحواجب بين الجمهور، ومال كثيرون للأمام في مقاعدهم، بينما هو يتابع بنبرة تجمع بين الحزم والحنان :

= أنا هنا لا لأقدّم وحيًا منزلاً ولا حقيقة مطلقة، بل لأشارككم ثمرة عقود من البحث، رحلة طويلة بين الكتب القديمة والتجارب العلمية، بين الأساطير والأديان، بين رموز الحضارات ومخاوف الأفراد. ما سأعرضه عليكم ليس يقينًا يُغلق الأبواب، بل محاولة فردية متواضعة لفهم ما لا يفهم، لتقريب صورة الروح كإرث إنساني وكسؤال أبدي لم نكفّ عن ملاحقته.

توقف، وأخذ نفسًا قصيرًا، قبل أن يضيف بابتسامة خفيفة لم تُخفِ صرامة عينيه :

= إنني لا أدّعي امتلاك الحقيقة، بل أدعوكم لأن نشارك معًا في مغامرة العقل والوجدان، لعلّنا نقترب خطوة من سرّ الروح، لا لنُمسكها، بل لنفهم أن حضورها في السؤال أعظم من حضورها في الجواب.

عمّ الصمت في القاعة من جديد، كأن أنفاس المئات قد اجتمعت في انتظار ما سيأتي بعد هذا التمهيد.

رفع سيكويا بصره إلى الحضور، وابتسم ابتسامة هادئة قبل أن يمضي في حديثه :

= لنستهل محاضرتنا اليوم بنظرية فلسفية، قد تبدو بسيطة للوهلة الأولى، لكنها تحمل عمقًا ضروريًا لفهم ما سنأتي على شرحه لاحقًا. إنها **نظرية أفلاطون عن الوهم**، تجربة صاغها في زمن الإغريق لتُظهر لنا مدى سهولة خداع العقل وإيهامه بما يراه ويسمعه.

مال قليلاً نحو المنصة، وصوته أخذ نبرة سردية تشدّ انتباه الجميع :

= تخيلوا مجموعة من الناس وُلدوا منذ البداية في غرفة صغيرة، محاطين بالخيالات التي تنعكس على الجدران أمامهم. كل ما يعرفونه عن العالم هو هذه الخيالات وما يسمعون من الأصوات التي نرسلها لهم من وراء الحائط. بشكل بديهي بالنسبة لهم، الأصوات تأتي من الأشياء التي يرونها، وهم يعتقدون بذلك بكل يقين، فحدود عالمهم هي الغرفة فقط، ولا يعرفون شيئًا خارجها.

توقف قليلًا، كأنه يسمح للفكرة أن تتغلغل في عقول الحاضرين، ثم تابع :

= في هذه الحالة، لقد خدعنا عقولهم بكذبة صدّقوها بالكامل، وأمنوا بها، ولم يشكّوا في صحتها لحظة واحدة. ولكن ماذا لو رفعنا الحجاب عنهم؟ ماذا لو أخرجناهم من الغرفة الصغيرة إلى العالم الأكبر؟ حينها، سيتكشف لهم أن كل ما ظنّوه يقينًا، كان مجرد وهم .. و أن ثمة أشخاص خارج الغرفة هم من يصدرون الأصوات لا الخيالات التي أدمنوا رؤيتها يومياً على جدران الغرفة

تأنّق صوته وهو يستعرض النتيجة :

= العبرة من تجربة أفلاطون ليست مجرد خدعة فكرية، بل دعوة للتفكير في كل ما نعتبره يقينًا. كثير من المعتقدات التي نكوّنها في حياتنا ضمن عالم المعرفة المحدود، بين أيدينا وبين ما تعلّمناه منذ الصغر، ليست أكثر من وهم باطل. كل قناعة نعتقد بها اليوم قد تكون، في واقع أوسع، مجرد انعكاس جزئي لحقيقة أكبر، نُحرم من إدراكها في غرفتنا الصغيرة.

أدار نظره إلى الجمهور، عيونه تقرأ فضولهم ودهشتهم معًا، وقال بهدوء :

= فماذا لو كانت يقظتنا اليومية، تلك التي نعتقد أنها تامة ومطلقة، ليست سوى حلم؟ حلمٍ يقف أمام واقع أعظم، كما وقف سكان الغرفة الصغيرة أمام حقيقة العالم خارج الحجاب؟ إن هذه الفكرة، البسيطة في ظاهرها، لكن العميقة في جوهرها، تضعنا على أعتاب التفكير في الروح : هل ما نعتقد أننا نعيه عن أنفسنا وعن حياتنا وما بعد الموت هو الحقيقة؟ أم أن كل ذلك مجرد انعكاس محدود لعالم أكبر وأعمق لم نرَه بعد؟

سكت لحظة، وكأن صمت المدرج أصبح جزءًا من المحاضرة نفسها، وبدأ الحضور يشعر بثقل السؤال : ليس مجرد فكرة فلسفية، بل دعوة لتوسيع نطاق الوعي، لرفع الحجاب عن عالم الروح وما وراء المعرفة اليومية.

أمال سيكويا رأسه قليلاً، وأخذ نفسًا عميقًا آخر قبل أن يواصل بصوت هادئ ولكن واضح لكل زاوية في المدرج :

= بعيدًا عن الروحانيات والفلسفة، دعونا نستعين قليلاً بالعلم، لأنه الطريق الذي يمهد لما سنأتي عليه لاحقًا. إذا كانت نظرية الوهم

لأفلاطون تُظهر لنا حدود اليقين البشري، فإن العلم الحديث يقدم لنا نموذجًا مشابهًا في عصرنا : **الواقع الافتراضي**، أو ما يُعرف **بالميتافيرس**. إنه واقع وهمي يعيشه الدماغ في حالة محاكاة، تجربة تُشبه الغرفة الصغيرة لأفلاطون، لكن مع أجهزة وتقنيات حديثة.

ارتفع صوته قليلًا وهو يرسم الصورة أمام الحاضرين :

= كما ترون على الشاشة أمامكم ، عند ارتداء نظارات الواقع الافتراضي، يغوص الإنسان في عالم يظنه حقيقيًا تمامًا، يتنقل فيه، يتفاعل مع الأشياء والأصوات واللمسات، لكنه في حقيقة الأمر يعيش في خيال محاكى. وعندما تُنزع النظارات، يعود إلى الواقع الحقيقي، ولكنه يحتفظ بكل الذكريات التي عاشها في تلك التجربة الفريدة، كما لو كانت جزءًا من ذاكرته، رغم أنها لم تحدث إلا داخل حدود وهمية.

ابتسم سيكويا، وكأنه يترك الحاضرين يستوعبون الصلة بين الفلسفة والعلم :

= وهنا مربط الفرس في محاضرتنا اليوم : ما الفرق بين الواقع الذي نعيشه، وبين الواقع الذي لا نراه؟ وكيف يمكن لمفهوم وهمي أن يترك أثراً في عقل الإنسان يقارب أثر الواقع نفسه؟

مال إلى الجانب، وأشار بإصبعه إلى الشاشة خلفه حيث بدأت تظهر صور قديمة لأجهزة ونماذج أولية، وتابع :

= تاريخ هذا الانغماس في الواقع الافتراضي ليس جديدًا كما قد نظن. ففي عام **1935**، قدم كاتب الخيال العلمي الأمريكي **ستانلي وينباوم** نموذجًا خياليًا في قصة قصيرة بعنوان **نظارات بجماليون**. في أحداث القصة، التقت الشخصية الرئيسية بأستاذ جامعة اخترع زوجًا من النظارات يمكن من خلالها الانغماس في التجارب الخيالية باستخدام حاستي الشم واللمس، تجربة أقرب إلى السحر العلمي من مجرد خيال.

رفع يده لتأكيد النقطة التالية :

= ثم، على مدار العقود التالية، تطورت تقنيات الواقع الافتراضي شيئًا فشيئًا. وفي عام **2010**، قدمت شركة جوجل خدمة التجول الافتراضي ثلاثية الأبعاد، وفي نفس العام ابتكر الأمريكي الشاب **بالمر لوكي**، وهو في الثامنة عشرة من عمره فقط، أول نموذج أولي لنظارات رأس تقدم تجربة الواقع الافتراضي بشكل متكامل. كان مجال رؤيته **90** درجة، وهو إنجاز لم يسبق له مثيل، معتمدًا على قوة معالجة الكمبيوتر للصور.

أدار نظره مرة أخرى إلى الجمهور، صوته أكثر جدية الآن :

= هذا التطور لم يقتصر على التقنية وحدها، بل عزز فضولنا البشري لفهم التجربة، وللتفكير في طبيعة الوعي والوجود. فكما أن الواقع الافتراضي يجعل العقل يصدق ما هو وهم، قد نجد أن حياتنا اليومية ، بما نحسّه ونؤمن به، قد تكون في جزء منها محاكاة لأبعاد أكبر لم ندركها بعد.

عمّ صمت قصير في المدرج، والصدى بدا وكأنه يملأ المكان كله، كما لو أن كل عقل حاضر بدأ يُعيد حساباته حول ما هو الواقع،

وما هو الوهم، وما هي الروح التي سيغوص سيكويا فيها بعد قليل.

تسمر سيكويا في مكانه كمنحوتة إغريقية، ورفع إصبعه برفق، وكأن هذا الإشارة الصغيرة تحمل ثقل ما سيأتي بعد قليل، وقال بصوتٍ هادئ ينساب بين صفوف الحاضرين :

= ننتقل الآن إلى مصطلحين غاية في الأهمية، وسيلعبان دورًا محوريًا في محاضرتنا اليوم : إنهما مصطلحا **نومينون** و **فينومينين**. إن فهم هذين المفهومين ليس ترفًا فلسفيًا، بل حجر الزاوية لكل ما سنناقشه لاحقًا حول الروح والماورائيات.

ابتسم للحاضرين قليلًا قبل أن يواصل :

= أولًا، نومينون: هذا المصطلح يشير إلى كل شيء يتجاوز العقل ولا يمكن إدراكه بالحواس المباشرة. غالبًا ما يُستعمل للإشارة إلى ما هو غير مرئي بشكل محدد، ما يختفي عن أعيننا لكنه موجود بطريقة ما. نعم، الروح بطبيعة الحال تندرج ضمن هذا المجال، وكذلك الجن، الأشباح، وأي من الظواهر الماورائية التي قضيت حياتي في دراستها ومحاولات تفسيرها. نومينون هو عالم ما وراء الحواس، عالم لا يمكن أن يُقاس بمسطرة ولا يُرى بالعين، لكنه يترك أثره في كل شيء حولنا.

ثم أشار بيده الأخرى، مشيرًا إلى الجانب المقابل :

= أما فينومينين، فهو المصطلح المعاكس : كل ما هو محسوس بالعقل، ما يمكن أن نراه أو نلمسه أو نحسه بطريقة مباشرة. فينومينين هو عالم الأشياء الملموسة، العالم الذي نظن أننا نعرفه تمام المعرفة، لكن في المقابل، يجب أن نتذكر دائمًا أن هذا الإدراك قد يكون محدودًا، وأن هناك دومًا أبعاد خفية تفوق ما نعتقد أننا نفهمه.

أخذ نفسًا قصيرًا، وعيناه تتجولان بين الحضور، ثم أكّد :

= تذكروا هذين المصطلحين جيدًا، لأننا سنعود إليهما بعد قليل، وسنرى كيف يساعداننا على الفصل بين ما نعيه بالوعي المباشر، وما يظل غامضًا لكنه حاضر بقوة في واقعنا وفي أبحاثنا. إنهما مفتاح لفهم الروح، لفهم عالم الماورائيات الذي يسكن بين اليقين والخيال.

صمت قليلاً و كأنه يفسح المجال لوصيته أن تتشعّب في العقول ثم أردف بهدوء و قد ظهرت صورة غريبة على الشاشة خلفه :

= ننتقل الآن إلى نظرية فلسفية علمية، أجدها شخصيًا غاية في الجمال والغرابة، ومليئة بالإثارة والتساؤلات. إنها **نظرية الدماغ في وعاء**. تصوروا معي هذا السيناريو العجيب : لو فصل دماغك عن جسدك ووضع في محلول مغذي، ثم رُبط بجهاز كمبيوتر فائق التطور يقوم بتنشيط باحات دماغك بنبضات مدروسة بعناية فائقة، فإنك ستشعر بأحاسيس مزيفة وكأنها حقيقية.

ابتسم قليلاً، وكأنه يستمتع بإثارة المخيلة لدى الحاضرين :

= سترى أشياءً، ستسمع أصواتًا، ستلمس أشياء أخرى، وستشم

روائح وتذوق نكهات مختلفة. وكل هذه التجارب ستبدو لك حقيقية، ولكن في الحقيقة، كل ذلك ليس إلا نتاج برنامج الكمبيوتر الذي يتحكم في نبضات دماغك. فالسؤال المذهل هنا : هل سيعي دماغك أن كل هذه الأحاسيس أوامر من جهاز خارجي، أم سيؤمن بأن هذا الواقع الذي يعيشه حقيقة فعلية؟ هذه مفارقة علمية رائعة، تثير التفكير المطول والتساؤل العميق.

ثم أشار إلى مصدر النظرية :

= لقد أطلق الفيلسوف الأمريكي **هيلاري بوتنام** على هذه الفكرة اسمها في كتابه (**السبب والحقيقة والتاريخ**) الصادر عام **1981**، لكن جذور هذه الفكرة في الحقيقة أعمق وأقدم بكثير.

توقف للحظة، ثم تابع :

= في القرن السابع عشر، ابتدع الفيلسوف الفرنسي **رينيه ديكارت** فكرة **الجني السيء**. هذا الجني، كما افترض ديكارت، كان يحاول خداعه وإيهامه بأن كل ما يحدث حوله في العالم الخارجي حقيقة واقعية، بينما هو مجرد وهم. الهدف؟ إعادة بناء المعرفة البشرية على أسس ثابتة، متبنياً ما أسماه **مبدأ الشك**.

أمال سيكويا رأسه قليلًا، وصوته أصبح أعمق وأكثر إقناعًا :

= ديكارت لاحظ أن حواسنا قد تخدعنا، وأن الأحلام تزرع فينا ارتباكًا مستمرًا. فقرر أن يتبنى أقصى درجات الشك، فرفض كل المعارف والمسلّمات التي تحمل أدنى نسبة من الشك. فنجده يقول في كتابه (**تأملات في الفلسفة الأولى**) :

(سأفترض إذن أن جنياً سيئاً قد استعمل كل ما أوتي من حنكة لتضليلي، وسأفترض أن السماء، والهواء، والأرض، والألوان، والأشكال، والأصوات، وسائر الأشياء الخارجية التي نراها، ليست إلا أوهامًا وخيالات، يلجأ إليها الشيطان كي يقنعني بواقعيتها.)

ابتسم سيكويا للحضور، وكأن هذه الكلمات العميقة على قدر من السحر يجعل كل عقل في المدرج يترنح بين اليقين والشك.

ثم أكمل بصوت هادئ لكنه متين :

= ورغم أن هذه الفرضية تبدو للوهلة الأولى باطلة، فهي، في باطنها، صحيحة للغاية، كما سنرى بعد قليل. فهي تكشف لنا الحقيقة الأساسية عن محدودية الإدراك البشري، وعن هشاشة ما نعتبره يقينًا. تمامًا كما في تجربة أفلاطون أو في واقعنا الافتراضي، ما نراه ونتلمسه قد يكون مجرد انعكاس لواقع أكبر وأعمق، واقع لا نستطيع الوصول إليه إلا بالتحليل العميق والملاحظة الدقيقة.

ارتفع صوته قليلًا وهو يربط النظرية بمحاضرته :

= إن هذه الفكرة تقربنا أكثر من السؤال الذي شغلني عقودًا : ما هي الروح؟ هل هي مجرد وهم نعيشه في وعينا المحدود، أم أن هناك حقيقة تتجاوز الإدراك، تمامًا كما يتجاوز الدماغ في وعاء

الواقع الذي يفرضه الكمبيوتر؟ إن إدراكنا للروح يحتاج أن نضع حواسنا وعقلنا على المحك، كما فعل ديكارت، لنستكشف الأبعاد غير المرئية، تلك التي تظل خفية أمام العيون العادية.

عمّ صمت قصير في المدرج، كأن الحاضرين وقفوا على حافة هاوية الفكر، مستعدين للغوص مع سيكويا في عالم الروح وما وراء المعرفة.

ابتسم سيكويا للحضور، ورفع يده قليلًا ليشدّ الانتباه، ثم قال بصوت هادئ لكنه مشحون بالإثارة :

= لقد تناولت الثقافة الفنية هذه الفكرة بنفس عمقها الفلسفي أحيانًا. خذوا مثال **فيلم ماتريكس** الشهير: حين يكتشف أحد قراصنة الحاسوب، ويدعى **نيو**، أن العالم في عام **1999** ليس سوى محاكاة افتراضية صُمّمت بواسطة جهاز استخبارات إلكترونية. كل البشر، بما فيهم نيو، وضعوا في قوالب مليئة بالسوائل المغذية، متصلين بأسلاك بجهاز الكمبيوتر. كل ما يظنونه واقعًا، هو مجرد رمز يمر عبر نبضات كهربائية.

مال سيكويا قليلاً إلى الأمام، وعيونه تتفحص وجوه الحضور :

= ليس هذا كله خيالًا فنياً جامحاً. الفيلسوف السويدي **نك بوستروم** اقترح مؤخرًا احتمالًا كبيرًا أننا نحن أيضًا نعيش داخل برنامج محاكاة، واقع يحاكي عالمنا كما نعرفه. وهذه الفكرة ليست بلا أساس، بل لها ما يبررها منطقيًا وعلميًا، كما سنرى بعد قليل.

ثم أشار إلى الشاشة خلفه، حيث بدأت تظهر مشاهد من الأفلام والصور الرمزية، وأضاف :

= لكن لننتقل الآن إلى الفكرة الأهم في محاضرتنا، والتي تحمل في طياتها تفسيرًا للروح، يجمع بين البساطة والعمق في آن واحد : فكرة **الأفاتار**. معظمكم شاهد سلسلة أفلام أفاتار الشهيرة و الشيقة، حيث يتمكن الإنسان باستخدام تقنيات حديثة من الانغماس في جسد كائن آخر، أزرق اللون، يعيش تجربة واقعية بالكامل كما لو كان هو ذلك الكائن نفسه.

توقف سيكويا للحظة، وابتسم ابتسامة خفيفة قبل أن يسترسل :

= الفكرة ليست مجرد خيال سينمائي، بل اقتبست من الديانة الهندوسية. فكلمة أفاتار، باللغة السنسكريتية، تعني تجسد كائن علوي أو ديفا، أو الإله الأعلى، على كوكب الأرض في صورة كائن آخر أو إنسان. وهكذا، الأفكار القديمة للروحانية والفلسفة والتجسد تعود اليوم في شكل تجارب تكنولوجية، توحي بأن الروح يمكن أن تنتقل، أو تحلّ في جسد آخر، لتعيش تجربة مختلفة، لكنها جزء من ذاتها.

أعاد سيكويا نظره إلى الحضور، بصوت هادئ يزن كل كلمة :

= لنعد سريعًا لما ناقشنا حتى الآن كي نضع هذه الأفكار في سياق واحد. لدينا : نظرية أفلاطون عن الوهم، نظارات الواقع الافتراضي، مصطلحا نومينون وفينومينين، نظرية الدماغ في وعاء، نظرية ديكارت عن الجني الشرير، وأخيرًا، فيلم الماتريكس وفكرة الأفاتار الهندوسي. كل هذه العناوين، كل هذه التجارب الفكرية والخيالية، تصب في سؤال واحد : ما طبيعة الروح؟ وكيف ندركها؟

ثم التفت إلى الحاضرين، وابتسم بهدوء:

=هل ثمة أسئلة لديكم حول هذه المفاهيم ؟

هزّ الحضور رأسه بالنفي ، في حين ترددت عبارة هنا و هناك :

= كل شيء واضح ..

ابتسم سيكويا مرة أخرى، وبدت عيناه تتلألآن بشغف من تمكن من تمرير عصارة عمر و تعب إلى الآخرين كي تستمر أبحاثه حية :

= إذاً لنواصل رحلتنا، فالجزء القادم من محاضرتنا سيبدأ الربط بين هذه النظريات وتجربتنا في فهم الروح، ولن يكون مجرد سرد أكاديمي، بل غوص عميق في ماهية وجودنا وما بعده.

صمت قليلاً و ارتشف من كأس الماء القابع على المنصة أمامه ثم تابع :

= بعد كل التمهيدات السابقة، حان الوقت لدخول صلب محاضرتنا. سأقدم لكم اليوم نظرية جديدة، لكنها من صياغتي الشخصية هذه المرة ، و يطيب لي تسميتها : **نظرية الروح هي حلم**. ولنباشر الحديث بسؤال بسيط، لكنه في غايته مهم للغاية :

نحن نعيش على هذه الأرض ضمن أجساد مادية، أدمغتنا تختزن ذكرياتنا كلها، من الأحداث التي عشناه وحتى اللحظة الراهنة. ولكن، ماذا يحدث لهذه الذكريات عندما نموت، وتتحلل أدمغتنا إلى تراب؟ هل تذهب إلى العدم وكأنها لم تكن؟ أم أن هناك بعدًا آخر تحفظ فيه هذه التفاصيل؟

توقف قليلًا، كأنه يترك الكلمات تغوص في عقول الحاضرين، ثم تابع بصوت أكثر حيوية :

= في تصوري الشخصي، الإجابة تكمن في العالم الآخر حيث تمكث أجسادنا السماوية نائمة بسلام و تحلم بالأحداث التي تعيشها يومياً أجسادنا الأرضية .. أجساد سماوية !!! مصطلح غريب أعلم ، لكنه المفتاح لفهم طبيعة الروح أخيراً .. هناك في العالم الآخر أجسادنا السماوية، أيا كانت بنيتها، متصلة لاسلكيًا بأدمغتنا الأرضية بطريقة غامضة، غريبة، ولكنها دقيقة. من اللحظة التي يولد فيها الإنسان على الأرض، أي عند اكتمال تكوينه الأرضي، تبدأ هذه الأجساد السماوية بالحلم، تشاهد تفاصيل حياتنا الأرضية ثانيةً بثانية، وتسجل كل ما نعيشه، كأنها شاشة واقع افتراضي عابرة للزمان.

ابتسم سيكويا، وأكمل بعينين تلمعان بحماس الباحث الذي عاش عقودًا يفتش عن الإجابات :

= ومتى انتهت حياتنا على الأرض ، تستيقظ أجسادنا السماوية من هذا الحلم و هي تحتفظ بكل التفاصيل، بكل الذكريات التي عشناها. تخيلوا الأمر كأن أجسادنا السماوية كانت ترتدي نظارات الواقع الافتراضي خلال حياتنا الدنيوية، وعند لحظة الموت تُزال هذه النظارات، فنكتشف عالمًا آخر، أوسع وأكثر وضوحًا.

الروح إذن ، أو النومينون، كمادة لا وجود لها، تمامًا كالذكريات

والأفكار والأحلام، غير محسوسة بالعقل حرفيًا، لكنها تمثل التجربة نفسها. والاتصال بين الجسدين – السماوي والأرضي – عند أول نفس نأخذه في الحياة، هو ما نسميه نفخ الروح في الأجساد، وما نسميه خروج الروح عند الموت، هو انقطاع الاتصال، كبداية حياة جديدة للأجساد السماوية.

أشار بيده إلى الشاشة الكبيرة خلفه، حيث تتلألأ رسوم تمثل جسدًا أرضيًا محاطًا بجسد سماوي متصلين بخيوط ضوئية :

= الكون الأصغر الذي نعيش فيه، عالمنا الأرضي، ليس أكثر من ميتافيرس للروح. مبرمج بدقة كي تعيش فيه أجسادنا الأرضية، المؤقتة والواهية، كل أحداث حياتنا ..حتى إذا ذهبت هذه الأجساد إلى العدم بعد الموت، تستمر أجسادنا السماوية في متابعة حياتنا من جديد، محتفظة بكل ذكرياتنا الأرضية، لتبدأ رحلتها في دار البقاء، في العالم الآخر.

عمّ صمت قصير في المدرج، وكأن كل عقل حاضر يحاول استيعاب فكرة أن حياتنا اليومية ليست سوى محاكاة دقيقة، لأحلام أجسادنا السماوية الغافية بسكينة ..

وقف سيكويا بهدوء، وعيناه تتجولان بين وجوه الحضور المذهولة، ثم قال بصوت متأمل :

= أما نظرية الروح كما تُصوّرها بعض الديانات القديمة، كمادة غير مرئية وغامضة موجودة داخل الأجساد البشرية وتخرج عند الموت لتصعد إلى السماء، فهي في جوهرها تشبيه مبسط، كان يواكب معرفة البشر في أزمنة غابرة وقدرتهم المحدودة على الفهم والاستيعاب. فهل كان بإمكان الإنسان آنذاك أن يتصور مفهوم الواقع الافتراضي أو الدماغ في وعاء؟ بالطبع لا، فالتكنولوجيا لم

تكن موجودة، ولم تكن أدواتها متاحة، والمعرفة العلمية لم تتقدم بعد.

توقف للحظة، وأكمل بنبرة تجمع بين الحكمة والتحدي الفكري :

= خذوا مثلاً تصور السماء في القرآن، التي بناها الله بأيديه، والجنة التي فيها مغريات مادية شبيهة بالدنيا، كالأطعمة والمشروبات وحتى الجنس، وغيرها من التشبيهات التي اقتُبست من حياة البشر اليومية، لتقريب الصورة إلى أذهانهم وفهمهم المحدود في ذلك العصر. كل هذا لم يكن إلا وسيلة لإيصال معنى أكبر بأسلوب يمكن تقبّله.

ابتسم سيكويا قليلًا، ثم قال بعينين تلمعان بفلسفة البحث :

= ومع تقدم العلوم، ومع فهمنا لتقنيات العقل والواقع الافتراضي والخيال المبرمج، نبدأ في إعادة تفسير كل شيء بصورة علمية ومنطقية. تدريجيًا، يزول وهم أفلاطون الذي تحدثنا عنه منذ قليل، فنكتشف أن الكثير مما كنا نراه يقينًا ما هو إلا انعكاس محدود لواقع أوسع وأعمق، عالم يمكن للروح أن تواصل فيه رحلتها بعد انقضاء حياتنا المادية عبر ما يمكن تسميته الأجساد السماوية ..

عمّ صمت قصير في المدرج، وكأن كلمات سيكويا قد فتحت نافذة جديدة في عقول الحاضرين، تجعلهم يراجعون تصوراتهم السابقة

عن الروح والسماء والحياة بعد الموت، على ضوء العلم والفلسفة الحديثة.

وقف سيكويا في هدوء، وعيونه تجوب المدرج كما لو كانت تراقب و تحاور كل عقل حاضر، ثم قال بصوت يمزج الحكمة والشغف :

= إذا أردنا أن نفهم حياتنا الدنيا بعمق، يمكننا اللجوء إلى عالم

الطب الجميل أيضاً . فالحياة هنا، على هذه الأرض، تشبه تجربة **اضطراب سلوك نوم الريم**، حيث يقوم النائم بتمثيل أحلامه جسديًا فيحرك يديه و يهز رأسه و هو نائم كما يشعر في الحلم مثلاً . إن أجسادنا الأرضية، ببساطة، تمثل أحلام أجسادنا السماوية، وتعيش تجاربنا الدنيوية كأنها مشاهد في حلم مستمر، لا ندري مدى حدوده أو تفاصيله.

أمال سيكويا رأسه قليلاً، مبتسمًا بخفة، وأضاف :

= هناك أيضًا مفهوم آخر في الطب لا يقل إثارة ، يُسمى **الحلم الواعي** أو **Lucid Dream**، حيث يدرك النائم أثناء حلمه أنه يحلم، ويصبح قادرًا على التدخل في أحداث الحلم، كما يحدث في فيلم **Inception** الشهير. في هذا النوع من الأحلام، يكون الإنسان واعيًا بمشاعره وأحاسيسه، وفي الوقت نفسه واعيًا بأنه يحلم، فيصبح الحلم مجالًا للإبداع والتحكم والتجربة.

أشار إلى الحاضرين، بعينين تتوهجان بالحماسة :

= وفقا لدراسة نشرت عام **2016**، فإن **55** % من البشر اختبروا الحلم الواعي لمرة واحدة على الأقل في حياتهم، بينما **23** % منهم يختبرونه مرة واحدة على الأقل في الشهر و أنا منهم . تخيلوا معي أن يرى الإنسان نفسه في خضم الحلم في غابة، ثم فجأة يطعم الديناصورات بيده، عندها سيدرك فجأة أنه يحلم و سيصبح قادراً على التلاعب بمجريات الحلم ..

تنهد سيكويا بعمق، قبل أن يواصل :

= وهذا بالضبط ما أحاول إيصاله لكم اليوم، أعزائي الحضور: حياتنا كلها على الأرض، كما تراها أجسادنا الأرضية، مجرد حلم،

حلم يراود جسدنا السماوي. نحن قادرون على التلاعب بهذا الحلم، على فهمه، وعلى إعادة تفسيره، حتى وإن بدا للوهلة الأولى أننا رهائن أحداثه.

رفع يده، وأكمل بنبرة أكثر عمقًا :

= وما هو أعمق وأعظم من ذلك، هو أنه في يوم القيامة، لن تُستيقظ أجسادنا الأرضية المتحللة أبداً، بل ستستيقظ أجسادنا السماوية التي تحمل إرثنا الأرضي كاملًا، مع مؤهلات أكبر بكثير. قيام الساعة ليس إلا رنة منبه، نفخ الصور، تُوقظ جميع الأجساد السماوية معًا في لحظة واحدة، و من هنا أتت تسمية يوم القيامة في الأديان **بقيام الساعة** .. إنها الساعة التي ستوقظ أجسادنا السماوية من غفوتها ..

ابتسم سيكويا للحاضرين المذهولين ثم أردف :

= وكذلك في حالات **تناسخ الأرواح**، يمكن لجسد سماوي واحد أن يتصل بعدة أجساد أرضية، ويحمل ذكرياتها كلها، ليواصل التجربة عبر أبعاد مختلفة، كما لو أن الروح تُعيد تدوير نفسها باستمرار، لكنها تحتفظ بالوعي والتجربة الكاملة.. إنها مجموعة أحلام لجسد سماوي وحيد لكن في عدة أجساد أرضية ..

ثم أشار إلى الشاشة العملاقة خلفه، حيث تُعرض رسوم لما يبدو أنه أكوان متوازية متعددة وأضاف :

= والحقيقة الأغرب والأهم في الموضوع كله، هي أن الجنة، أي الكون الأكبر، قائمة على مبدأ العالم الافتراضي أو الدماغ في الوعاء. أنت قادر على الانتقال إلى أي عالم تشاء، وعيشه بحذافيره و أنت في مكانك، وكأنك تسافر عبر أكوان متعددة، مع كل التفاصيل الدقيقة التي تجعل التجربة حقيقية تمامًا. والأجمل أن

جسدك السماوي يظل سليمًا بلا أي ضرر، مهما كانت المخاطر أو التجارب التي تعيشها افتراضيًا.

تنهد مرة أخرى، وصوته أصبح أعمق، وكأنه يشارك سرًا خطيرًا للحضور:

= تخيلوا معي: كل تجربة نخوضها، كل ألم أو فرح نعيشه، كل مشهد أو حدث، ما هو إلا برنامج دقيق يُدار في عالم أكبر، أوسع وأكثر أمانًا، عالم يسعى إلى تسجيل كل تفاصيلنا، وتوجيهنا نحو فهم أعمق لوجودنا. حياتنا الأرضية، بكل ما فيها من محيطات من المشاعر والتجارب، ليست سوى تجربة افتراضية، ولكنها تجربة حقيقية في تأثيرها على أجسادنا السماوية، على ذكرياتنا، وعلى استمرارية الروح.

أمال رأسه، وعيناه تتوهجان بإيحاء فلسفي خالص :

= وهكذا، يتضح لنا أن كل ما كنا نراه كحقيقة مطلقة، كل قيود العالم المادي، هي في الحقيقة مجرد واجهة، مجرد تجربة تفاعلية يحاكيها جسدنا الأرضي، بينما أجسادنا السماوية، تعيش اللحظة كاملة عبر أحلامها، وتحتفظ بكل إرثنا وتجاربنا، لتستمر رحلتها بعد موت الأجساد الأرضية بلا انقطاع، في عالم أكبر، أوسع، وأكثر دقة وحرية من أي حلم أو واقع افتراضي يمكن أن نتخيله.

عمّ الصمت في المدرج، والصدى بدا وكأنه يلتف حول كل عقل حاضر، فيما بدأ الجميع يستشعر عمق الفكرة، ويستعد للغوص في ما سيقدمه سيكويا بعد قليل عن الارتباط بين هذه النظرية وكل ما سبق من مفاهيم وأمثلة فلسفية وعلمية.

= و كتلخيص لكل ما سبق : أجسادنا السماوية عبارة عن (دماغ في وعاء) و متصل بحاسوب (يملي علينا أحلامنا و بالتالي

تفاصيل حياتنا الأرضية) و نحن في هذه الدنيا (الماتريكس) عبارة عن أجساد أرضية (أفاتار) لكائن أعلى هو الجسد السماوي نقوم بترجمة تلك الأحلام الموجودة على ذلك الحاسوب و في أجسادنا السماوية كحقيقة مادية مجسّدة أمامنا و أمامها .. لتتكامل هذه النظريات جميعاً في نظرية واحدة مشتركة و هي نظرية : (**الروح النومينون الحلم**) التي تنفخ في أجسادنا الأرضية كحلم لحظة نومنا في العالم الآخر و ولادتنا في الدنيا ، و تخرج منها لحظة استيقاظنا في العالم الآخر و موتنا في الدنيا ..

بتعبير آخر كل منكم هو في حياته الدنيوية أشبه بمصباح في سقف غرفة ، عندما ينام جسده السماوي بولادته يتم ضغط زر التشغيل فتصلك الكهرباء ليضيء و يشع حياةً ، و عندما يستيقظ جسده السماوي يُضغط الزر ثانيةً لتنطفئ حياته على الأرض و يموت

ابتسم سيكويا ثم قال بنبرة تخفت تدريجياً و كأنها تشي باقتراب نهاية المحاضرة :

= أعزائي الحضور، بهذه الكلمات نصل إلى ختام محاضرتنا اليوم. لقد حاولت أن أقدم لكم ما جمعته خلال عقود من البحث والدراسة والتأمل، رؤية شخصية لنظرية (الروح – النومينون – الحلم)، تلك النظرية التي تحاول تفسير حياتنا وموتنا والرحلة التي تخوضها الروح بين العالمين، الأرضي والسماوي.. كتفاعل بين جسد سماوي نائم و يحلم و جسد أرضي يترجم الأحلام إلى أحداث مادية ملموسة ..

أعود و أكرر .. أنا لست هنا لأفرض عليكم الحقيقة، ولا لأقول إن ما قدمته هو العلم المطلق أو الفهم النهائي للروح. كل ما في الأمر محاولة فردية متواضعة، محاولة لفهم موضوع لطالما أذهل البشر وأثار مخيلتهم منذ الأزل. وما أرجوه منكم اليوم، ليس مجرد التصديق أو القبول، بل التفكير النقدي والمساءلة، أن تراجعوا هذه

النظرية، أن تضعوها تحت مجهر العقل، أن تتساءلوا وتبحثوا كما فعلت طوال حياتي.

ابتسم بابتسامة دافئة تعكس امتنانًا حقيقيًا :

= شكراً لكم جميعًا على الاصغاء، على حضوركم المهيب، وعلى استعدادكم لمشاركة العقل والقلب في رحلة البحث عن الحقيقة.
دعونا نستمر في التفكير، في السؤال، في استكشاف هذا العالم الرائع والغامض الذي نسميه الحياة، ولنترك لأنفسنا حرية الإبداع، والتأمل، والنقد.

تأخر التصفيق للحظات و عمّ صمت طويل، وكأن الكلمات الأخيرة ما زالت تتردد في أذهان الحاضرين، فيما ارتفعت بعض النظرات نحو السماء وكأنها تبحث عن بصيص من الحقيقة، أو عن حلم آخر يمكن لأجسادهم السماوية أن تحياه بعد لحظة النهوض من هذا العالم الدنيوي .

شجرة الأدراك

حيث تبدأ الحكاية و تنتهي

الهند / كالكوتا

2077 م ..

أريان شاب هندي يستحق الاشادة ، إنه أقرب ما يكون لأفاتار الإله **فيشنو** عند الهندوس إله الحماية و الحفظ على خطى **كريشنا** و **راما** ، فقد حمل على أكتافه منذ الطفولة مسؤوليات أكبر بكثير من عمره.. يبلغ من العمر ثمانيةً وعشرين عاماً. حين تقع عيناك عليه للوهلة الأولى، لا تملك إلا أن تتأمل تفاصيله التي تجمع بين الصرامة والهدوء. بشرته سمراء ناعمة كحبات البن المحمصة، تحمل في بريقها أثر شمس الحقول التي عاش في كنفها صغيراً. عيناه واسعتان سوداوان، تكسوهما رصانة توحي بقدرة على الإصغاء العميق، بينما ترتسم حولهما خطوط رفيعة مبكرة، لا تدل على شيخوخة بل على مسؤولية حملها باكراً. جبينه عريض، وشعره الأسود الكثيف يصففه عادةً إلى الخلف، محتفظاً ببعض العفوية التي تليق بروح طبيب يفضل الراحة العملية على المبالغة في المظهر.

ملابسه تميل إلى البساطة؛ ففي عمله كطبيب يرتدي بالطبع معطفه الأبيض الناصع، الذي يزيد من حضور ملامحه الواثقة. أما خارج مشفاه ، فيفضل القمصان القطنية الواسعة ذات الألوان الهادئة؛ الأزرق الفاتح، الأخضر الزيتوني، أو الأبيض الذي يعكس صفاء داخله. سرواله غالباً من قماش اللينن الخفيف، مناسب للمناخ الهندي الحار الرطب. في خطواته تجد إيقاعاً هادئاً، يشي بقدرة على التحكم في انفعالاته، وكأن قلبه ينبض بتؤدة تتسق مع مهمته كطبيب يختص في معالجة آلام الآخرين.

نشأ أريان في بيئة ريفية غنية بتقاليد الهند العريقة. رائحة التوابل التي تعبق في الأسواق، أصوات الأذان والتراتيل الدينية التي

تتعاقب مع الفجر والمساء، ألوان الساري الزاهية التي ترتديها النساء في الأعياد، كلها صاغت شخصيته على نحو متفرد.

رغم انتقاله إلى المدينة لمتابعة دراسته في الطب، ظل يحمل في داخله روح الريف؛ التواضع، احترام الأكبر، والتمسك بالأسرة كوحدة أساسية للحياة. يتحدث بلغته الأم الهندية بلهجة أهل قريته، لكنه يجيد الإنجليزية بطلاقة، ما مكنه من التواصل مع أساتذته وزملائه في الجامعة. في تعامله مع المرضى، ترى أثر ثقافة الاحترام والرحمة التي تشربها من بيئته. ينحني قليلاً برأسه حين يُصغي، يستخدم عبارات مهذبة، ويحافظ على الابتسامة حتى في أصعب المواقف.

هو ابن ثقافة متعددة الألوان، تعلم منذ صغره أن التنوّع ليس سبباً للانقسام بل مصدراً للغنى. لذلك، في ممارسته الطبية، لا يكتفي بالوصفات الدوائية وحدها، بل يحرص أحياناً على إرشاد مرضاه إلى بعض الأعشاب التقليدية التي عرفها من والده وجيرانه في القرية، جامعاً بين الطب الحديث والحكمة الشعبية.

عائلة أريان هي الجذر الذي منه استقى ثباته. وُلد أكبر إخوته الستة، ليجد نفسه منذ سنواته الأولى محاطاً بمسؤولية أكبر من سنه. فقد والدته **أنابا** وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، حادثة تركت في قلبه فراغاً لا يملؤه شيء، لكنها زرعت في نفسه أيضاً قوة صامتة وحناناً مضاعفاً تجاه أخوته الأصغر.

والده رجل بسيط يعمل مزارعاً، يقضي يومه بين الحقول، يحرث الأرض ويزرع القمح والأرز، ويعود في المساء بملابس ملطخة بالتراب، لكنه يحمل في عينيه كبرياء من عاش حياة كادحة بكرامة. لم يكن الأب كثير الكلام، لكنه علّم أبناءه عبر المثال

الصامت معنى الجدّ والاعتماد على النفس.. زوجته الثانية **أرفي** لم تكن قاسية على أريان بل أقرب الى صديقة ..

أربع أخوات لأريان، كلهن أصغر منه، ينسجن يومهن بين الدراسة والأعمال المنزلية، ولكل منهن حلم تسعى لتحقيقه : إحداهن تهوى التدريس، وأخرى ترغب في أن تصبح مهندسة، وثالثة تبرع في الخياطة وتصميم الأزياء. أما الأخت الصغرى فما زالت طفلة، تجد في أريان الأب الحامي والمعلم. إلى جانبهن أخان صغيران، أحدهما في المرحلة الثانوية، والآخر بدأ للتو يخطو نحو الجامعة.

كونه الأكبر، حمل أريان عبء أن يكون السند والقدوة. لم يعرف الرفاهية التي يعرفها أقرانه، بل كان عليه أن يعمل بجانب دراسته ليؤمن نفقاته. هذا الدور جعل شخصيته أكثر نضجاً وهدوءاً، وأكسبه قدرة على الموازنة بين الحزم واللين.

في حياته الخاصة، يحتفظ أريان بقدر من الانعزال. هو ليس انطوائياً، لكنه يقدّر الصمت، ويفضل قضاء أمسياته في القراءة أو الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية الهندية، على حضور التجمعات الصاخبة. أحياناً يعود إلى قريته ليمضي عطلة قصيرة مع والده وإخوته، فيستعيد هناك البساطة الأولى : فطور من الخبز الطازج المطهو على التنور، كؤوس الشاي بالقرفة ، وأحاديث متقطعة على ضوء الفوانيس ..

حين قرر أريان أن يختص في علم الأعصاب، لم يكن اختياره عشوائياً أو وليد رغبة في نيل مكانة اجتماعية فحسب، بل جاء من ميل داخلي عميق إلى فهم أسرار العقل البشري. كان منذ أيام دراسته الجامعية مسحوراً بفكرة أن الدماغ، هذه الكتلة الرمادية الصغيرة، تتحكم في كل تفاصيل حياتنا : مشاعرنا، أفكارنا، وحتى إدراكنا لذواتنا. ومع تقدمه في التخصص، صار ينظر إلى مهنته

كجسر يصل بين الجسد والروح، بين المادة وما وراءها.

انعكس عمله على شخصيته بشكل واضح؛ فقد اكتسب مزاجاً هادئاً متوازناً يشبه إيقاع عمله اليومي. فطبيب الأعصاب يواجه مرضى يعانون من أمراض معقدة : الصرع، السكتات الدماغية، أمراض التنكس العصبي. هذه الحالات تتطلب صبراً هائلاً، ونظرة شاملة لا تقتصر على الأعراض الظاهرة بل تمتد إلى فهم العوامل الخفية. لذا، صار أريان يزن كلماته ببطء، يلتقط أنفاسه بتؤدة، وكأن هدوءه جزء من أدواته الطبية. لم يعد الانفعال صفة مألوفة لديه، بل صار يحتفظ به في أعمق أعماقه، مفضلاً أن يظهر لمرضاه كبحر ساكن يبعث فيهم الطمأنينة.

رغم التزامه بالمنهج العلمي الصارم، فإن أريان يحمل في داخله فضولاً تجاه عوالم ما وراء المادة. لقد شدّه بشكل خاص مفهوم **الإسقاط النجمي**، أو ما يُعرف بتجربة الخروج من الجسد. يصف هذا المفهوم حالة يعتقد بعضهم أن الوعي فيها ينفصل عن الجسد المادي، لينطلق في فضاءات أخرى أو عوالم موازية. بالنسبة لأريان، لم يكن الأمر مجرد خرافة، بل فضاءً مثيراً للتساؤل : ماذا لو كان الوعي أكثر من مجرد نشاط كهربائي في الدماغ؟

كما انجذب أيضاً إلى دراسات وتجارب مرتبطة بما يُعرف **بالموت الوشيك** وهي حالات يروي فيها أشخاص اقتربوا من الموت، أو مرّوا بتوقف قلبي ثم عادوا إلى الحياة، مشاهد وأحاسيس غير اعتيادية : رؤية نور ساطع، الشعور بالسلام العميق، أو الإحساس بالانفصال عن الجسد. هذه الشهادات، وإن كانت محل جدل علمي واسع، تثير لدى أريان أسئلة عن الحدود الدقيقة بين العلم والإيمان، وعن طبيعة الوعي ذاته.

لم يأتِ فضول أريان من فراغ؛ فقد نشأ في بيئة مشبعة بالفلسفة الهندوسية التي ترى أن الحياة سلسلة من التناسخات، وأن الروح لا تفنى بموت الجسد، بل تنتقل إلى جسد آخر في دورة لا تنتهي حتى تبلغ التحرر النهائي (**الموكشا**). بالنسبة له، بدا الإسقاط النجمي وتجارب الموت الوشيك كأنها ظلال معاصرة لهذه الفلسفة القديمة، دلائل محتملة على أن الروح قد تتجاوز حدود الدماغ والجسد.

ورغم وعيه بأن واجبه كطبيب يحتم عليه التمسك بالدليل العلمي، فإنه لم يستطع إخماد صوته الداخلي الذي يسأله دوماً : هل ما نعتبره وعياً مجرد تفاعلات كيميائية عصبية؟ أم أنه نافذة على بعد آخر؟ لقد جعلته هذه الأسئلة أكثر رحابة في التفكير، وأكثر رحمة في التعامل مع مرضاه، إذ يدرك أن الإنسان ليس مجرد حالة سريرية، بل كيان معقد تتداخل فيه البيولوجيا مع الميتافيزيقا، والعلم مع الإيمان.

الهندوسية ، ديانة أريان ، ليست مجرد ديانة بالمعنى التقليدي، بل هي منظومة فلسفية وروحية متكاملة، نشأت في شبه القارة الهندية منذ آلاف السنين. يقدّر أتباعها اليوم بما يزيد عن مليار نسمة، مما يجعلها ثالث أكبر ديانة في العالم. جوهرها يقوم على فكرة أن الكون ليس ثابتاً، وأن الروح البشرية تسير في رحلة طويلة من

الولادات والموت، باحثةً عن الخلاص والتحرر من دورة الحياة.

الهندوسية لا تعرف مؤسساً واحداً، فهي نتاج تراكم نصوص وأساطير وفلسفات. من أهم نصوصها : الفيدا و الأوبنشاد و البهاغافاد غيتا. هذه الكتب جمعت بين الطقوس الدينية، والنصوص الشعرية، والتأملات الفلسفية حول معنى الوجود، ودور الإنسان في الكون.

أما أهم المفاهيم في الديانة الهندوسية فهي :

الدارما و تعني الواجب أو النظام الأخلاقي الذي يجب على الفرد أن يلتزم به بحسب موقعه في المجتمع وظروف حياته. القيام بالدارما هو السبيل لحياة متوازنة ومرضية روحياً.

الكارما ، قانون السبب والنتيجة الأخلاقي. كل فعل يقوم به الإنسان – خيراً كان أم شراً – يترك أثراً يعود عليه في حياته الحالية أو في حيواته القادمة. لا يفلت أحد من نتائج أفعاله، مما يجعل الكارما مبدأ للعدالة الكونية.

السامسارا و تعني دورة الولادة والموت وإعادة الميلاد. هي المسار المستمر الذي تسير فيه الروح عبر أجساد مختلفة، في رحلة تبدو لا نهائية.

الموكشا و هي الغاية القصوى: التحرر من السامسارا ومن قيود الجسد المادي. الموكشا تعني اندماج الروح في الحقيقة المطلقة (برهمان)، والانعتاق من المعاناة والدورة المستمرة للحياة والموت.

و أخيرا **التناسخ** وهو المفهوم الأكثر شهرة في الهندوسية، الذي يرى أن الروح لا تفنى بموت الجسد، بل تنتقل إلى جسد آخر وفقاً للكارما التي راكمتها. فقد يولد المرء من جديد في صورة إنسان أو حيوان أو حتى كائن آخر، تبعاً لصفاء أفعاله ونواياه. و الهندوسية تقدّم تناسخ الأرواح كحقيقة وجودية، لا مجرد افتراض. يرى

المؤمنون أن الموت ليس نهاية، بل انتقال. الجسد يتلاشى، لكن الروح تظل حية، تبحث عن جسد جديد لتكمل رحلتها. لذا، ينظر الهندوس إلى الموت بقدر من السكينة، باعتباره محطة في طريق طويل.

وتتعدد القصص الشعبية عن أشخاص – وخاصة الأطفال – تذكروا تفاصيل من حياة سابقة : أسماء، أماكن، وأحداث لم يكن بوسعهم معرفتها بوسائل عادية. هذه القصص، المنتشرة في القرى والمدن، تعزز لدى الناس الإيمان بأن التناسخ واقع حيّ وليس مجرد عقيدة.

بالنسبة لأريان، لم يعد التناسخ مجرد فكرة دينية أو موضوعاً فلسفياً يقرأ عنه، بل أصبح جزءاً حياً من قصته الشخصية. فقد توفيت أمه حين كان في السابعة من عمره، تاركةً وراءها فراغاً عاطفياً هائلاً. كان يظن أنه فقدها إلى الأبد، حتى جاءه خبر لم يكن ليتخيله.

في قرية مجاورة لقريتهم، ولدت طفلة بعد عام من وفاة الأم. كبرت هذه الطفلة بشكل طبيعي، حتى بلغت التاسعة من عمرها، وبدأت فجأة تتحدث عن حياة أخرى لا يعرفها أهلها : أسماء غريبة، بيت بمواصفات محددة، حقول مزروعة بالقمح والأرز، و اربعة ابناء يدعى أكبرهم أريان. كانت تروي تفاصيل دقيقة عن أدوات المنزل، وصفات الطعام التي اعتادت إعدادها، وحتى عن الحلي التي كانت ترتديها.

في البداية، ظن أهلها أن خيال الطفلة واسع، لكن إلحاحها دفعهم إلى التحقق. زارت الطفلة القرية المجاورة، وهناك حدث ما لا ينسى : توقفت أمام بيت أريان، ودخلته وكأنها تعرف كل زاوية فيه. نادت والده باسمه، والتفتت إلى أريان بعاطفة لا تخطئها العين، وقالت بصوت مرتجف : **أنت ابني** . كانت هذه اللحظة

كالصاعقة التي هزّت الجميع.

الطفلة لم تكتفِ بالكلمات، بل سردت ذكريات لم يعرفها أحد خارج العائلة : كيف كانت تهدهد أريان حين يبكي، وكيف خبأت له قطعة حلوى في صندوق خشبي صغير. هذه الدقة جعلت العائلة، ومعهم أريان، يوقنون أن ما أمامهم ليس مجرد طفلة، بل عودة الأم في جسد جديد.

هذه الحادثة غيّرت حياة أريان كلياً. لم يعد التناسخ بالنسبة له

نظرية يتناقلها الكهنة والفلاسفة، بل تجربة شخصية حقيقية. رؤية أمه في جسد آخر منحته سلاماً داخلياً، وعزز لديه يقيناً بأن الموت ليس النهاية. صار أكثر رحمة في عمله كطبيب أعصاب، مدركاً أن الإنسان يتجاوز جسده المادي.

أما الطفلة – أي أمه في حياتها الجديدة – فقد صارت تزور العائلة من حين لآخر، محافظةً على علاقة غريبة وفريدة : فهي في ظاهرها غريبة عنهم، لكنها في جوهرها قطعة من قلبهم القديم. هذه الزيارات كانت أشبه بجسر بين الماضي والحاضر، بين الموت والحياة، بين العلم والإيمان

حين يذكر أريان اسم **إيشا**، يتغير صوته كما لو أنه يستحضر شيئاً أعمق من مجرد حبيبة أو خطيبة. إيشا في حياته لم تكن يوماً شخصاً عابراً، بل كانت أشبه بالجديلة السرّية التي حبكت خيوط روحه منذ الطفولة. إن ملامحها لم تكن مجرد تفاصيل جمالية، بل كانت انعكاساً لصورة أكبر، لصدى معنى يتجاوز الجسد.

هي فتاة بملامح رقيقة كقصيدة غير مكتملة، عيناها عسليتان تحملان دفء الأرض في مواسم الحصاد، وشعرها الأسود الطويل ينسدل ككفي الليل على كتفيها. حين تبتسم، يبدو كأن العالم يتوقف لبرهة، ويصغي. أما صوتها، فليس مرتفعاً ولا هامساً، بل هو

التوازن نفسه : صوت من اعتاد أن يكون لحظة طمأنينة في زمن مكتظ بالضجيج.

قصة أريان وإيشا لا تُشبه قصص الحب العابرة التي تبدأ في الجامعة أو مكان العمل. لقد بدأت منذ أن كانا طفلين في القرية نفسها. كانا يلعبان على التراب ذاته، ويركضان في الحقول نفسها، ويشربان من النهر ذاته. منذ تلك اللحظات الأولى، دون وعي منهما، كانت أرواحهما تُشكَّل على نحو يجعلها لا تكتمل إلا ببعضها البعض.

حين رحلت أم أريان باكراً، وجد نفسه في مواجهة فقد لا يُحتمل. لكن هناك، وسط ذلك الفراغ، كانت إيشا. لم تكن تملك سوى ابتسامة صغيرة وقطعة حلوى، لكن ذلك كان كافياً ليمنحه يقيناً بأن العالم لم يغادره كله، وبأن الحياة ما زالت تحتفظ له بجزء من العزاء.

لقد ترعرعا معاً، وكبرا كما تكبر شجرتان متجاورتان، تتشابك جذورهما في عمق الأرض حتى لو بدت أغصانهما منفصلة فوق السطح. ومع نضج الأعوام، اكتشفا أن ما يجمعهما لم يعد مجرد ألفة الطفولة، بل شغف دفين يشبه حنيناً إلى شيء لم يُفقد يوماً.

حين انشغل أريان بدراساته في الطب، كان كثيراً ما يغيب في المدن المزدحمة، يواجه قسوة الحياة ومشقة السعي. لكنه لم يشعر يوماً بالوحدة، لأن ظل إيشا كان يسير معه، حتى وهو بعيد عنها. كانت كلماتها في رسائلها البسيطة تبدو له أكثر ثباتاً من أي جدار، وأكثر رحمة من أي دواء.

إيشا لم تكن مجرد داعمة، بل كانت المرآة التي رأى فيها ذاته الحقيقية. في كل مرة شكّ في نفسه أو شعر بالإنهاك، كان يستعيد صورتها وهي تقول له بعيونها قبل لسانها : (أنت قادر، أنت خُلقت لتكون نوراً في حياة الآخرين.) هكذا، تحولت إلى طاقة لا تنفد، إلى المعنى الذي يحفظ توازنه الداخلي، وإلى الحلم الذي يجعله قادراً على الاستمرار.

اليوم، وبعد رحلة طويلة من الصبر والعناء، يقف أريان وإيشا على أعتاب زفافهما القريب. بعد أشهر قليلة، ستتزين القرية بالألوان والأنوار، وسيتردد صدى الطبول والتراتيل، وسيجتمع الأهل والأصدقاء ليشهدوا ارتباطاً لم يُولد في لحظة، بل نما عبر السنين كالشجرة التي انتظرت طويلاً حتى أثمرت.

لكن بالنسبة لهما، الزفاف ليس نهاية قصة، بل بدايتها الحقيقية. إنه عودة الروحين إلى موضعهما الطبيعي، كالنهر حين يجد مجراه، أو الطائر حين يبلغ سماءه. هو إعلان أن الحب ليس وعداً يُقال بالكلمات، بل حضوراً يُصنع بالعمر كله.

إيشا ليست فقط خطيبة أريان، بل هي فلسفة في جسد، ورحلة في ملامح إنسان. هي البرهان على أن الحب، إذا ما وُلد صادقاً،

يصبح شكلاً من أشكال الخلود.

****

شجرة الأراك ، حيث تبدأ الحكاية و تنتهي

خرج أريان من باب المشفى مع أول خيوط الفجر. المدينة لم تستيقظ بعد، شوارعها لا تزال نصف نائمة، والمباني الرمادية ترتدي غلالة ضباب خفيف. حمل في صدره شعوراً نادراً بالارتياح؛ فقد أنهى مناوبة طويلة ومرهقة، لكن قلبه كان خفيفاً كطائر يستعد للطيران. مد يده إلى جيبه وأخرج هاتفه، وضغط الرقم الذي يحفظه قلبه أكثر مما يحفظه عقله.

على الطرف الآخر جاء صوت إيشا، رقيقاً، دافئاً، يضيء أذنه كما يضيء الفجر وجه السماء ، هو يعلم أنها تستيقظ يومياً مع شروق الشمس. تبادلا كلمات قصيرة لكنها مشبعة بالمعنى. تحدثا عن تفاصيل الزفاف القريب، عن الألوان التي ستزين قاعة الاحتفال، عن الموسيقى التي سترافق خطواتهما الأولى كزوجين. كانت ضحكة إيشا تتخلل صوتهما كأنها موسيقى خلفية لحياة لم تبدأ بعد.

قال لها :

= إيشا، أشعر وكأن الكون كله يتواطأ ليمنحنا هذه السعادة.

فأجابته :

= بل نحن الذين بنيناها، لبنة فوق لبنة، صبراً فوق صبر .. إنها مكافأة عمر من التعب و الانتظار ..

ابتسم أريان، ثم أنهى المكالمة على وعدٍ بلقاءٍ قريب، ووقف عند حافة الطريق ينتظر سيارة أجرة. في ذهنه، كان يخطط أن يمر قبل العودة إلى منزله على صديق قديم يعاني وعكة صحية. لم يكن

قادراً على تأجيل الأمر؛ فالمسؤولية بالنسبة له لم تكن مجرد واجب مهني، بل نوعاً من العهد مع الحياة.

توقفت سيارة أجرة صفراء بجانبه، فتقدم بخطوات واثقة، فتح الباب وجلس إلى المقعد الخلفي. الهواء كان ثقيلاً برائحة البنزين والليل العالق، لكنه لم يهتم؛ كان ذهنه منشغلاً بأشياء أكبر : وجه إيشا، وابتسامة أبيه التي لم يرها منذ أسابيع، وحلم الغد الذي كان يتشكل كزهرة على وشك التفتح.

السيارة انطلقت ببطء أولاً، ثم تسارعت قليلاً. الشوارع خالية إلا من بعض المارة الذين يبدون كظلال. أريان أرخى رأسه على المقعد وأطلق تنهيدة هادئة. لحظة صفاء خالصة، كأن الزمن يطوي جناحيه ليمنحه هدوءاً مستحقاً.

لكن المنعطفات في الحياة لا تُعلِن عن نفسها. هناك دائماً لحظة فاصلة بين الامتلاء والفراغ، بين الضحكة والصرخة. وفي ذلك الصباح، جاء المنعطف سريعاً، بلا إنذار.

من زاوية الشارع، انبثقت سيارة مسرعة، أشبه بسهم أُطلق من قوس غاضب. لم يكن في يد السائق ولا في يد أريان أي وقت

للتفكير. اصطدمت السيارة الجانبية بسيارة الأجرة بعنفٍ جعل الزجاج يصرخ ويتناثر كقطع نجوم انطفأت فجأة.

انحرف جسد أريان إلى جانب النافذة بقوة لا تحتمل. رأسه ارتطم بالزجاج بعنف، ثم خيّم عليه صمت كثيف. شعر بوميض أبيض يتفجر في عينيه، ثم غابت الصور كما لو أن العالم أُطفئ بيد خفية. سال الدم بغزارة من جرحٍ في جبينه، حاراً ولزجاً، كأن الروح نفسها تبحث عن منفذ إلى الخارج.

لحظة واحدة كان يبتسم لإيشا عبر الهاتف، يتحدث عن زفافهما

القريب، ولحظة أخرى صار جسده مستلقياً بلا وعي في مقعد سيارة متهشمة. كأن الزمن، في نزوة عابثة، قرر أن يقطع الوتر في منتصف اللحن.

ذلك هو سرّ الحياة الذي لم يتوقف أريان عن تأمله كطبيب و كإنسان : أن الفرح والمأساة يتجاوران دائماً، يعيشان في الغرفة ذاتها، لا يفصل بينهما سوى باب شفاف. قبل دقائق كان يخطط أن يزور صديقه المريض، وفجأة صار هو المريض، بل الضحية، والدماء التي يراها عادةً على أجساد الآخرين صارت تنزف منه هو.

لكن، حتى في لحظة الغياب، كان هناك معنى خفي. في اللاوعي العميق ، ظل صوت إيشا يتردد في داخله : (لقد بنيناها معاً، لبنة فوق لبنة.) كأن الكلمات تحولت إلى جسر يحمله فوق هاوية الصمت، إلى أن يقرر القدر إن كان سيكمل عبوره أم سيبقى هناك، معلقاً بين ما كان وما قد لا يكون.

******

وصلت سيارة الإسعاف إلى بوابة المشفى مع خيوط الفجر، محمّلة بجسدٍ مألوف على هذه الأرض، غريب عنها في هذه اللحظة. كان المسعفون يعرفون من هو المصاب قبل أن ينطقوا اسمه؛ وجهه لم يكن غريباً عن أروقة المكان. أريان، الطبيب الذي طالما ركض في هذه الردهات لإنقاذ أرواح الآخرين، صار الآن هو من يحتاج النجدة.

دُفعت النقالة بسرعة، أبواب الطوارئ انفتحت كفم يبتلع القدر. الزملاء الذين طالما عملوا بجانبه تدافعوا نحوه، عيونهم مذهولة، قلوبهم مشدوهة، كأن الزمن أخطأ طريقه فجعلهم يعالجون من كان بالأمس سندهم وابتسامتهم.

في غرفة العناية المركزة اجتمع الأطباء والممرضون حوله. الأجهزة استعدت، والقلوب استجمعت كل ما فيها من رجاء. ارتدى زملاؤه قفازاتهم بسرعة، لكن ارتعاش أصابعهم خانهم. ضربات على صدره، أنابيب أوكسجين تدخل وتخرج، أصوات الأجهزة تقطع الصمت برتابة معدنية، والنداءات تتعالى :

- اضغطوا أكثر!
- صدمة كهربائية أخرى ..
- لا يزال بلا نبض!

كان المشهد أقرب إلى معركة، ولكن الجسد المستلقي هناك بدا كمن أعلن الاستسلام منذ البداية. صدره يرتفع ويهبط بآلات لا بإرادته، شفتاه شاحبتان، جبينه ما زال ينزف بخيط دم أحمر يرسم مساره نحو الوسادة البيضاء. كأن الحياة اختارت أن تنسحب ببطء، تاركة خلفها جسداً بلا مقاومة.

زملاؤه الذين طالما عرفوه صامداً، هادئاً، مبتسماً حتى في أقسى الظروف، وجدوا أنفسهم عاجزين. حاولوا مراراً، لكن القلب ظل صامتاً، كأن صوته قد رحل إلى مكان آخر لا تصله الصدمات الكهربائية ولا الأدوية ولا النداءات المتوسلة.

عند الدقيقة الأخيرة، حين أعلن الجهاز خطاً مستقيماً بلا نبض، خيّم الصمت على الغرفة. لم يكن صمتاً عادياً، بل صمتاً يثقل الهواء حتى يكاد يخنق من فيه. انحنت إحدى الممرضات تبكي بحرقة، فيما رفع أحد الأطباء يديه إلى وجهه ليخفي دموعه. كانوا جميعاً يعرفون : لم يفقدوا مجرد مريض، بل فقدوا أخاً، رفيقاً، وواحداً من أنبل من مشى بينهم.

استلقى أريان على السرير الأبيض بلا حركة. ملامحه كانت

مسالمة، كأن روحه اختارت الرحيل بهدوء يليق بخصاله في الحياة. لم يعد هناك صراع ولا ألم؛ الجسد بدا خفيفاً، ساكناً، وكأنه أتم مهمته على هذه الأرض.

الدماء التي لطخت معطفه الطبي الأبيض ذات يوم، وصار هو يزيلها بيديه عن أجساد الآخرين، سالت هذه المرة منه هو، شاهدة على مفارقة موجعة. يداه المسترخيتان بجانبه كانتا تشبهان يدَي طفل نائم، بينما جبينه الواسع، الذي طالما حمل خطوط المسؤولية، استراح أخيراً من كل الأعباء.

غرفة العناية لم تعد غرفة علاج، بل غرفة وداع. دموع زملائه انسابت بلا خجل، فلم يكن في لحظة كهذه مكان للمظاهر أو للتماسك. كل واحد منهم كان يحمل في قلبه ذكرى شخصية معه : نصيحة قالها، ابتسامة شجعتهم، صمت شاركهم فيه ثِقَل المسؤولية.

وهكذا، غاب أريان عنهم، تاركاً وراءه فراغاً أكبر من جسده، فراغاً يسكن القلوب قبل أن يسكن المكان. لم يكن مجرد طبيب رحل، بل كان وجهاً من وجوه النبل الإنساني الذي يتجلى أحياناً في شخص واحد، ثم يختفي ليبقى أثره طويلاً في ذاكرة من عاشوا قربه.

******

استفاق أريان فجأة، كمن يُستعاد إلى النور بعد أن ابتلعه الظلام لفترة طويلة، وكأن الزمن نفسه قرر أن يمنحه ثانية واحدة ليعيد ترتيب نفسه. فتح عينيه، فوجد سريراً لم يره من قبل، فراشاً مريحاً يفوق كل ما عرفه في حياته، يغطيه قماش ناعم يلمع تحت الضوء الخافت، ويشبه ملمس النسيم على جلد دافئ. حاول أن يهز رأسه، فارتجف برعشة طفيفة عند تذكر حادث السير : الزجاج المتكسّر، الصراخ، الدم، وجه إيشا قبل أن يُقطع الاتصال... كل شيء اندمج

في وميض خاطف لم يتركه يتنفس بسلام.

نظر حوله بفضولٍ وارتباك، وإذا به في مقصورة زجاجية كروية، شفافة كعين ماء صافية، تنحني خطوطها لتحتضنه دون أن تحجزه. انعكس وجهه في الزجاج، لكنه بدا مختلفاً، جسد لا يشبهه تماماً، ملامح ثابتة وهادئة كتمثال. انسحب إلى الوراء، وارتجف، مد يده إلى وجهه ليتأكد أن هذه اليد ما تزال له : الأصابع الطويلة، ندوب طفولية على الإبهام، وخط شعري على الرسغ ، كلها اختفت و كأنه في جسد غريب عنه. ثم تحركت يداه لأسفل، فوجد جسده متصلًا عبر لصاقات غريبة إلى جهاز كروي صغير بجانبه.

على شاشة الجهاز، تألقت كلمات تتوهج بخفة :

المهمة أنجزت — استيقظ فقد مت ...

توقف النص كما لو أن أحدًا لم يجرؤ على الكتابة كاملة. لم يفهم المعنى فورًا؛ هل هذا خطأ، أم تجربة غير مفهومة؟ تذكر فورًا قراءاته عن الموت الوشيك، الأبحاث الطبية والفلسفية التي عزته إلى فيض من الإندورفين والأدرينالين، وكيف يمكن للدماغ أن يخلق رؤية يزدوج فيها الواقع والخيال.. هل يعيش هذه التجربة بسبب الحادث ؟

فصل الأجهزة عن جسده بيد مترددة، وكأن كل لصاقة كانت تشدّه إلى العالمين في آن واحد. نهض من السرير، ولم يجد بابًا في المقصورة، الصوت الذي اعتاد على الاعتماد عليه لم يكن موجودًا. صرخ بأعلى ما يملك من قوة :

= هل من أحد هنا؟ هل أنا حي أم ميت؟

ارتدت صرخاته عن جدران الزجاج دون أن تجيب، إلا بصدى

بعيد يختلط بالضوء الخافت.

فجأة، صدر صوت أنثوي، ناعم، مفعم بالثقة والطمأنينة، ينبعث من الجهاز الكروي :

= أهلاً بك بني... لقد أنجزت مهمتك في الحياة.

ارتجف أريان، ولم يتمالك صوته وهو يردّ :

= من أنتِ؟ وأين أنا؟

أجابت بصوت رقيق وكأنها نبتت من أعماق الكون :

= أنا شجرة السماء... أنا الجذع وأنت أحد فروعي. أنت في العالم الآخر.

ارتعش أريان، وعاد عقله يتداعى بين العقل والفلسفة، بين ما يعرفه وما يراه. سأل :

= لم أفهم... هل أنا .... ميت؟

= نعم ..

جاء الجواب بهدوء مربك :

= ميت إن شئت، وحَيّ إن شئت .. هذه هبة منحتها لقلة قليلة من فروعي ..

****

عاد أريان إلى قريته التي شهدت طفولته الأولى، حيث رائحة التوابل تختلط بغبار الطرقات الترابية، وأصوات الطيور والنهر تعانق عويل الريح. لكن هذه المرة لم يكن هناك صوت ضحك، ولا خطوات صاخبة على الطريق؛ فقد عاد إلى المكان الذي ولد فيه جسده، لكن روحه كانت قد غادرت منذ زمن قصير، تاركة خلفها فراغاً يتسرب في قلب كل من عرفه.

أريان أصرّ في حياته على دفنه قرب **شجرة الأراك** العجوز عند موته، تلك الشجرة التي عاش في ظلالها طفولته كلها. تحت أغصانها تعلم المشي الأول، تعلم اللعب، ذاكر الدروس ،وتعلم كيف تصغي للرياح، كيف تلاحظ تغيرات الضوء في أوراقها، وكيف يشعر بالسلام حين يكون أحدها يراقبه من الأعلى. كان لأريان شعورٌ داخلي قوي، لم يفهمه، لكنه أصر عليه طوال حياته : دفنه هنا، بين جذورها العميقة، حيث يمكن أن تعود روحه إلى الأرض التي احتضنته يوماً، بعيداً عن النيران التي عادة ما تُشعل في أجساد موتى الهندوس.

وصل الجميع إلى المكان، القلوب مثقلة، العيون متورمة بالدموع، والهواء مشبع بالحزن. الأب، الذي طالما كان حجرًا صلباً في الحياة، انحنى على كتف ابنه باكياً بصمت، كأن كل العمر الذي عاشه لم يعد يكفي ليواسي نفسه أو أولاده. الأخوات الأربع، والأخوان الصغيران، وقفوا حول القبر، يداهمهم شعور فقد لا يمكن التعبير عنه بالكلمات، شعور يفوق الألم، يفوق الصدمة.

إيشا لم تستطع التماسك. اقتربت من القبر، ركعت على الأرض، وانهارت فوقه، كأنها تتمنى أن تستطيع اللحاق بالروح التي رحلت. قالت بصوت مختنق بالدموع والصرخة :

= أين ذهبت أريان ؟ لقد وعدتني أننا لن نفترق... زفافنا كان قريبًا، والآن صار مأتمًا .. ليست هذه المكافأة التي توقعناها !

كانت كلماتها تتناثر في الهواء، تتماوج بين أغصان الأراك و أوراقها ذات الشكل القريب من هيئة القلب، بين التراب، وبين الذكرى. كل حرف منها كان كالسيف الذي يخترق صمت الموت، كأنه يرفض قبول أن أحد أغلى البشر في حياتها قد غادرها بهذه الطريقة.

الجميع صمت، ولكن الدموع لم تتوقف. كانت دموعهم جزءاً من الأرض، جزءاً من الهواء، جزءاً من كل شيء في القرية، وكأن الحزن نفسه أصبح مادة ملموسة. كل شخص وقف أمام شجرة الأراك العجوز، ينحني برأسه، يلمس جذورها، ويشعر بأن جزءاً من روحه يرتبط بذلك الجذر الذي احتضن أريان منذ صغره.

وضع التابوت في القبر ببطء، وكأنهم يضعون قلب العالم نفسه في حضن الشجرة. كل دفعة تراب كانت تحمل معها رسالة وداع : حب، احترام، فقدان، وامتنان لما كان عليه أريان طوال حياته. الشجرة، بظلالها العميقة، بدت كأنها تستوعب كل شيء، وتحتضن الروح كما احتضنت الطفل الذي اعتاد أن ينام في كنفها.

وقف الأب متكئًا على عصاه، بينما أخواته يلامسن التراب، والأخوة الصغار يحاولون فهم معنى الرحيل قبل الأوان. إيشا بقيت جاثية، عيناها مغلقتان، شفتيها تتحركان بلا صوت، وكأنها تهمس له : (*عد إلي... عد إلي كما وعدتني...*)

النسيم مرّ بخفة، حاملاً معه رائحة التراب، رائحة الغبار، رائحة الحياة التي لا تنتهي، ورائحة الغياب الذي يحفر عميقًا في القلب. كان المشهد مزيجًا من الحزن والسكينة، من النهاية والبداية، من الألم والخلود.

حتى الموت هنا لم يكن مجرد غياب، بل لحظة من الانصهار بين الإنسان والأرض، بين الروح والجذر. شجرة الأراك العجوز، التي شاهدت طفولته ، ضحكاته، تعلمه، وآماله، أصبحت شاهدة على الرحيل النهائي، وموئلاً لروحٍ لم ترغب إلا في أن تعود إلى حضن الأرض الأم، بعيداً عن النيرانِ، بعيداً عن التقاليد، حيث يمكن للسلام أن يستقر و للروح أن تستريح .. هبت نسمة ريح أخيرة فأسقطت ورقة يابسة من غصن شجرة الأراك لتهوي فوق تربة القبر على هيئة قلب جفّ من الروح فصمت أخيراً ..

صرخة صخرة

العراق / بغداد ..

2077 م ..

برهان عبد القدوس اسم يتردّد في الأوساط الثقافية كما يتردّد صدى الأجراس في وادٍ سحيق، لا يلبث أن يملأ كل زاوية بالرهبة والجلال. رجل بلغ السبعين من عمره، ومع ذلك ظلّ واقفاً كجبل لا يتآكل من عوامل التعرية، وكأن الزمن وهو يمرّ عليه قد خجل أن يترك بصماته. لم يكن الشيخوخة لتنال منه كما تنال من سواه، فقد عرف سرّ الحياة: كتابٌ يقرأه بتمعّن، جسدٌ يدرّبه بالرياضة، وروحٌ يحافظ عليها بغذاء متوازن وحكمة متينة. كانت ملامحه تحمل مهابة العُمر، لكن عينيه ظلّتا تلمعان ببريق الشباب، كأنهما نافذتان على ربيعٍ لا يشيخ أبداً.

عاش برهان حياته عاشقاً للثقافة، حارساً أميناً لمملكة المعرفة، ينهل من الكتب نهل الظمآن من النبع. قرأ الفلسفة كما لو كان يحاور سقراط، وغاص في التاريخ كما لو أنه يستمع إلى همسات الملوك الغابرين، وكتب في السياسة بصرامة المؤرخ ومرونة المفكر. عشرات المؤلفات حملت توقيعه، بعضها صار مراجع لا غنى عنها، وبعضها أثار جدلاً كما تثير العاصفة سكون البحر. ومع ذلك، لم يكن برهان يسعى للشهرة، بل للمعرفة، يرى نفسه خادماً أميناً للكلمة لا سيداً عليها.

لكن الحياة، بما تحمل من مفاجآت، لا تترك أحداً يسير مطمئناً بلا امتحان. ففي لحظة واحدة، وبحادثة عابرة، كُسرت دروعه جميعاً. كانت تلك حين تعرّضت حفيدته الوحيدة فاطمة من ابنته الوحيدة لحادثة هزّت كيانه من الأعماق. لم يكن مجرد حدث عابر في صحيفة، بل زلزالاً داخلياً جعل عمره يتضاعف عشرين سنة دفعة

واحدة. لم يعد الشيخ السبعيني شاباً في روحه كما كان، بل رجل يتوكأ على جرح لا يُرى.

فاطمة ذات السنين الثلاثة عشر ، النور الذي كان يشعّ في بيته، أصيبت بجرحٍ لا يندمل. دخلت في **متلازمة ما بعد الصدمة،** وصار العالم في عينيها غابة مظلمة. غاصت في **اكتئابٍ عميق،** تكسّرت ضحكاتها واختفت خطواتها المرحة، وبات الصمت هو اللغة التي تسكن بين جدرانها. كان برهان يراقبها بقلبٍ مثقوب، يشعر أن الكتب كلها عاجزة عن أن تمنحها الطمأنينة، وأن ثقافته الممتدة عبر عقود لا تساوي شيئاً أمام دمعة واحدة تسيل على خدها.

ومع ذلك، لم يكن الاستسلام من طبع هذه العائلة. التفّ الأصدقاء والأطباء حول فاطمة، مدّ المجتمع يده بالدعم، وجاء الطب النفسي كمنقذٍ جديد، يثبت مرة أخرى أن المعرفة الإنسانية لا تنحصر في الفلسفة ولا في التاريخ، بل تمتد إلى شفاء الأرواح أيضاً. بالأدوية المدروسة، وبالعلاج النفسي المتدرج، بدأت فاطمة تستعيد شيئاً من نورها. لم يكن الأمر سهلاً، لكن كل خطوة صغيرة كانت بالنسبة لجدها معجزة، وكل ابتسامة تعود إلى شفتيها كانت كأنها قيامة من موت.

حين كان برهان يجلس قربها، يرى أن هذه التجربة لم تفضحه فقط كجد ضعيف أمام دموع حفيدته، بل أعادت إليه درساً نسيه في زحمة الكتب : أن الإنسان لا ينهض بالثقافة وحدها، ولا يحيا بالفكر المجرد، بل يحتاج إلى شبكة من الحبّ، إلى يدٍ تمتد في لحظة الانكسار، وإلى طبٍ يعرف كيف يُعيد رسم ملامح الروح.

لقد كُتب في مسيرة برهان عبد القدوس أن يكون شاهداً على عصرين : عصرٍ كان يظن فيه أن الكلمة هي المنقذ الأوحد،

وعصرٍ آخر أدرك فيه أن الكلمة وحدها لا تكفي، بل لا بد من العلم والطب والدعم الاجتماعي كي يُعاد تشكيل الإنسان. وهكذا ظلّ الرجل، رغم جرحه العميق، متمسكاً ببهاء رسالته : أن الثقافة ليست مجرد حروف تُسطّر، بل حياة تُعاش، وأن أعظم مؤلفاته لم يكن كتاباً كتبه، بل حفيدةً استعادت نورها بعد أن كاد يخبو.

ها هو اليوم يجلس في مقعده الوثير بجوار الشرفة ، ذاك الذي التصق بجسده كما لو أنه امتداد لهيكله العجوز، في ركنٍ هادئ من مكتبته التي طالما كانت ملاذه الأثير. كانت الغرفة تغصّ برائحة الورق العتيق، رائحة تشبه عبق الزمن وهو يتكثّف في صفحاتٍ صفراء محمّلة بعرق القرّاء وأحلامهم و برائحة التبغ المعتق المتسربة من غليونه. وفي ذلك الركن العابق، انكبّ الرجل على قراءة كتاب بعنوان (**الروح بين الواقع و الاحتمال**) بقلبٍ لا يزال يرفّ بفضول تلميذٍ صغير، رغم أنّ شيب الشعر على رأسه ولُحمة التجاعيد حول عينيه تحكيان عن عقودٍ طويلة من القراءة والمكابدة الفكرية.

كان الكتاب من تأليف البروفيسور الأمريكي **سيكويا ستيفنز**، الشهير بمحاضرته المثيرة للجدل عن حقيقة الروح منذ أشهر و التي أتبعها بإصدار كتاب يفصل أكثر في الموضوع. وكانت عينا برهان تحتميان خلف نظّارات سميكة، أسمك من مجلدات الفلاسفة ، كلما انعكس الضوء عليها، بدا كأنها تختزن أرشيفاً من القرون الماضية، كما لو كانت بحد ذاتها مكتبةً ثانية فوق عينيه. تلك النظارات تحكي قصةً من دون لسان : قصة عمرٍ طويلٍ من القراءة المتواصلة، قصة عشقٍ مجوسية بين رجلٍ يلتهم المعرفة التهاماً وبين كتابٍ يتصبّب شقاءً ودهشةً في زمنٍ صار فيه الكتاب يتيماً مشرداً، لا أحد يعيره حضناً أو يدرك قيمته. لكن القدر، بما يشبه الطرافة المجرّدة، قرّر أن يُتبنّى هذا اليتيم من قبل عائلة عقيمة، لا أبناء ذكور لها سوى الكتب، فصار الورق فيها أعزّ من الدم، والحبر فيها أثمن من الذهب.

تصفّح برهان الصفحات كما لو كان يتوضّأ بالكلمات، يقرأ عن ماهية الروح ، عن الاتحاد المقدس بين الجسدين السماوي و الأرضي في تجربة واقع افتراضي كونية .. عن الموت الوشيك وتجارب الأرواح عند عتبات الغياب، وعن الإسقاط النجمي حيث تُفلت الروح من قيد الجسد وتحلّق في سماواتٍ غير مرئية، ثم يتدرّج الكتاب به إلى حديثٍ عن تناسخ الأرواح، كأنّ الكاتب يفتح أبواباً متلاحقة، كل بابٍ يفضي إلى آخر أكثر غموضاً وسحراً. كان البروفيسور قد بلغ منتصف الكتاب، وكانت أنفاسه مزيجاً من شغفٍ وتأملٍ وخوفٍ دفين؛ خوفٌ من أن يبلغ الصفحة الأخيرة ويُغلق الباب، إذ كان يرجو الله أن تطول متعته ولا تنقطع قبل أن يشبع قلبه من هذا السحر الماورائي.

في تلك اللحظة، اقتربت منه حفيدته فاطمة، الفتاة التي عادت إليه بعد محنةٍ أليمة. كانت زيارتها أشبه بمحاولةٍ أخرى للتعافي، نقاهةً

من جرحٍ غائر تركه حادثٌ كاد يسرق منها براءتها، يوم تجرّأ رجل غريب على انتهاك جسدها وروحها، مستغلاً الفوضى التي عصفت ببلادهم. فقد صار الوطن، مع غياب الرقابة والمحاسبة، غابةً تتجوّل فيها الذئاب بلا رقيب، بينما المواطنون عراة أمام مخالبها. وبرغم فداحة الجرح، كانت فاطمة ما تزال تحمل في عينيها بريق الطفولة، ذلك النور الذي يصرّ على النجاة مهما تسلّط عليه العتم.. فالبراءة لا تأتي من عذرية الجسد بل من عذرية الروح ، و روح فاطمة أرض بكر لم يتمكن أي مختل روحي من تدنيسها ..

وقفت أمام جدّها بوجهٍ نصف مشرق ونصف متهدّج، ثم طلبت منه أن يرافقها إلى الحديقة لتلعب معه الريشة. كان صوتها ينساب بخجلٍ يذيب الصخر، كأنها تستجدي الحياة أن تمنحها فرصةً أخرى للفرح. رفع برهان رأسه عن الكتاب، نظر إلى حفيدته، وفي عينيه مزيج من حنانٍ يشبه الصلاة، ومن حيرةٍ بين عالمٍ مكتوب على الورق وآخر يتنفس أمامه باللحم والدم. أحسّ في تلك اللحظة أنّ الكتب مهما بلغت من سحر، تبقى مجرّد حروفٍ صامتة، بينما هذه الطفلة بجراحها، بابتسامتها المرتجفة، كانت كتاباً آخر، كتاباً حيّاً كتبه القدر على جسدٍ صغير وروحٍ كبيرة.

حين نهض متكئاً على عصاه، بدا وكأنه يغادر عالماً كي يدخل آخر؛ يغادر « الروح » ودهاليز الكتب كي يدخل لعبة الريشة، لعبة تبدو للعين سطحية، لكنها في الحقيقة أكثر عمقاً من كل الكتب : فهي لعبة الحياة ذاتها، حيث تتقاذفنا كريشات بين السماء والأرض، بين الأمل واليأس، بين السقوط والتحليق.

فاطمة هي نقطة ضعف برهان الكبرى، السرّ الذي لا يخجل من الاعتراف به ولو بينه وبين نفسه. فمنذ أن أبصرت عيناها النور

في هذا العالم، باتت كفيلته في أن تروض كبرياءه الصلب، وأن تفتح الأبواب المغلقة في قلبه بلا استئذان. لم يكن في وسعه أن يرفض لها طلبًا، ولو كان بسيطًا كاللعب في الحديقة أو جلوسه بجوارها حين تخاف من الليل. كانت سعادتها بالنسبة له صلاةً لا يملّ من ترديدها، ولأجلها يرضى أن يضع العالم خلف ظهره.

لذا، حين طلبت منه أن يخرج معها، لم يتردد لحظة. أغلق كتابه ببطء، وكأنه يطوي بين صفحاته روحًا كامنة، ووضع البطاقة في مكانها كما يضع عاشقٌ موعدًا مؤجلاً مع حبيبته. كان الكتاب بالنسبة له عشيقة من الورق، لكن الحفيدة من لحم ودم، ومن ثم لا مجال للمقارنة. نهض بخطوات هادئة وخرج معها إلى الحديقة، حيث كان الهواء أكثر نقاءً من ذاكرة المدن، وحيث كانت الألوان تتوزّع كما لو أن الأرض تعزف لحنًا على لوحة خفية.

في البدء لعبا معًا الريشة، اللعبة التي تجيدها فاطمة ببراعة، وكانت خفة يديها تثير في نفسه دهشة متجددة : كيف تستطيع هذه الطفلة، بجسدها الصغير، أن تقهر ثقل الواقع وتحوّل ريشة بلا وزن إلى نجمٍ يلمع بين السماء والأرض؟ ظلّ يبادلها الضربات بحماس، يحاول مجاراة طاقتها، حتى أعلن جسده فجأة انسحابه من المباراة. آلام الظهر التي كثيرا ما يكون سببها القهر كما يقال في التراث الشعبي و ظهرت له بعيد حادثة فاطمة رفعت راية الاستسلام، وجعلته يبتسم برضا بواقع الحياة ، أنه لم يعد شاباً. رفع يده معلنًا أن هذه المباراة هي الختامية، مباراة ملحمية خاضها بكل ما تبقى فيه من فتوة، ثم صافح حفيدته وكأنه يهنئها على فوزٍ مستحق.

بعد ذلك، تحوّل اللعب إلى مشيٍ هادئ في الممر الحجري وسط الحديقة، حيث كانت الزهور تحرس الطريق بألوانها المتناثرة:

حمراء كالجمر، صفراء كالشمس، بيضاء كأجنحة الملائكة. وبين كل زهرة وأخرى، كان ثمة حديث يتدفق بين الجد والحفيدة. لم تكن المواضيع عابرة، بل تنقلت من هموم الحياة اليومية إلى أسئلة أكبر، عن معنى الفرح، عن الصبر، عن سرّ أن يحتفظ الإنسان بابتسامة حتى حين يتألم. كانت كلمات فاطمة طفولية بسيطة، لكن في بساطتها حكمة لا يصل إليها الكبار إلا بعد أعوام طويلة من التيه.

وبينما كانا يسيران، توقفت فجأة عند وردة زرقاء غريبة، بدت كجوهرة أسطورية بين أخواتها. كانت زُرقتها عميقة، كأنها تحبس في قلبها سراً قادماً من البحار أو من السماء. بدت الوردة وكأنها تسخر من علوم الوراثة التي عجزت عن تفسير كيف ظهرت بهذا اللون النادر، وكأنها رسالة من الطبيعة تقول : (ما زلت قادرة على كسر قوانينكم متى شئت .) اقتربت فاطمة منها بحذر، ثم مدّت يدها الصغيرة فقطفتها برشاقة، لتعود بها نحو جدّها.

قدّمتها إليه بابتسامة خالصة، ابتسامة تشبه صلاة صامتة أو وعوداً بالفرح رغم كل الجراح. مدّ العجوز يده المرتجفة وأخذ الوردة منها بحبور، فأحسّ للحظة أنه تلقّى هدية من السماء لا من

الأرض. رفعها إلى وجهه، وأغمض عينيه كأنّه يتنفس من خلالها حياة جديدة. وفي أعماقه شعر أنّ هذه الوردة الزرقاء لم تكن مجرد زهرة، بل رمزٌ لفاطمة نفسها : نادرة، عصية على التفسير، تبرعم في قلب الخراب لتعلن أن الجمال قادر دائماً على النجاة و لو تكالبت عليه الأشواك .

= شكرا لك فاطمة إنها وردة رقيقة و مذهلة مثلك تماماً .. لا غرابة أن يحب الورد ورداً.. يجمعكما معاً الرقة و الرائحة الزكية الهاربة من دكان عطار هشم الزمن كل ما فيه من قوارير عطرٍ .. و شكرا لك أيتها الوردة بدورك على التضحية بحياتك لإسعادنا .. أنت زرقاء بلون الكآبة كشمعة احترقت بألم أخرس لتنير الظلام من حولها ..

ابتسمت فاطمة :

= ياه كم أنت شاعري يا جدي .. أتتحدث إلى الوردة بحق؟

= بالطبع يا حفيدتي.. إنها كائن حي مثلنا تماماً و فيه روح كروحنا بالضبط .. عبق من نور السماء ..

= معقول ؟ روح في وردة .. كيف يمكن لذلك أن يكون حقيقيا .. ؟

= تبعا للكتاب الذي أقرأه الآن و أنصحك بشدة بقراءته ، فإن الروح قد لا تسمو بصاحبها إلى سماوات عليا بل تنصاع لرغبات جسده المادي الفاني فتعلق في زنزانة الحياة الدنيا لأجيال منتقلة بالتناسخ من جسم مادي لآخر .. قد يكون إنساناً فيسمى ذلك **النسخ** أو حيوان فيسمى **المسخ** أو نبات فيسمى **الرسخ** أو جماد فيسمى **الفسخ** .. و يحدد نوع التناسخ أفعال الإنسان في هذه الحياة الدنيا التي تتذبذب بين سمو و انحطاط..

هزت فاطمة ، التي كادت تخسر روحها منذ فترة قريبة قبل أن تستعيدها بشجاعتها و إصرارها اللامحدود ، رأسها باعتراض :

= الجماد له روح ؟ مستحيل ؟

= لا شيء مستحيل في هذا الكون .. و كل مادة من حولنا قادرة على الاقتران بجسد سماوي كي يعيش تجربتها .. هكذا يفشي الكتاب بأسراره ..

= غريب .. من الممكن أن أفهم تجاوزا أن الحيوان له روح فهو يأكل و يشرب و يتكاثر و يتألم و يفرح .. هو كالإنسان لكن بملكات عقلية أقل لكن كيف للنبات مثلا أن يملك روحاً إنه لا يقوم بأي من ذلك ؟

= هذا غير صحيح عزيزتي .. النبات يقوم بكل ذلك أيضا .. فهو يولد من البذرة و يتغذى من التربة و ينجذب نحو الضوء و يتكاثر بدوره و أخيرا ييبس و يموت .. أما الفرح و الحزن فقد أثبت العلم أن النبات الذي يعامل بلطف و محبة و يعرض للموسيقا ينمو أكثر و أسرع من غيره .. كذلك فالنباتات تتألم و تصرخ و حتى أن بعضها يبكي ..

= يبكي و يتألم ؟ إنه شيء أقرب للخيال !

= أجل ... إنه أقرب لميثولوجيا إغريقية .. لكنه واقعي تماماً .. فقد نجح علماء لأول مرة في التاريخ بتسجيل أصوات النباتات عند تعرضها للإجهاد أو القطع أو غيرها من الظروف الصعبة، في مؤشر على أن النباتات لا تعاني بصمت، بل تصرخ أيضاً..

= و لماذا لا نسمعها إذاً ؟

= لأن الموجات فوق الصوتية التي تصدرها النباتات يبلغ ترددها الموجي نحو **20** ألف إلى **100** ألف هرتز ، أما الإنسان فيمكنه

سماع الأصوات التي ترددها بين **20** و**20** ألف هيرتز فقط، مع ذلك فبعض الحيوانات مثل الخفافيش والفئران ربما تستطيع سماع صوت النباتات.. ليس ذلك فحسب بل أن النباتات الأخرى تسمع صراخ النباتات المتأذية و تفهم سبب الصراخ من طبيعة الترددات فترتكس للعامل المؤذي و تحمي نفسها منه ..

= مذهل ! و كيف يتم ذلك ؟

= مثلا أثبتت التجارب و الملاحظات العلمية إنتاج النباتات التي تلقت إشارات من نباتات أخرى تضررت من هجوم الحشرات عليها بشكل بربري للمزيد من المواد الكيميائية الدفاعية لتساعدها في مقاومة ذلك الهجوم، أما تلك التي تلقت موجات من نباتات تعرضت للاختناق جفافاً مثلًا فقد أغلقت مسامها لمنع فقدان الماء أكثر .. مما يعني أن النباتات يمكنها سماع وفهم أصوات جيرانها من النباتات وإعداد نفسها لنفس الضغط الواقع عليها.. أكثر من ذلك لقد اكتشف العلماء أن هنالك أنواع عديدة من النباتات تذرف الدموع حرفيا عندما تتألم كقطيرات الندى على خد الورود ..

= سبحان الله .. كم هذا مذهل ! .. لقد قلبت مفاهيمي المسبقة جدي كزلزال عنيف .. بعد كل ما ذكرت فإن للنبات روحا و لا شك فهي تفهم كل شيء لكن بطريقتها الخاصة .. و أضيف إلى كلامك جدي أن الجماد بنفسه ربما يصرخ عندما يتألم كطرق المعدن أو نحت الصخر أو قطع الخشب .. كل ذلك يصدر صوتا خاصا .. ربما هو أنين متألم يلفظ أنفاسه المعذّبة..

= رائع رائع .. أحسنت فاطمة .. إنه توصيف بليغ للغاية .. إن روح الله بالفعل متغلغلة في كل ثنايا الكون حولنا .. نور سماوي يعبر موشور الحياة ليتشعب إلى ألوانها البهيجة في كل منا.. و ذات يوم ستجتمع هذه الألوان ثانية على مائدة العشاء الأخير لتعلن قيامة

النور الأوحد مجدداً أبيض كطهارة الثلج إلى السموات العلا ..

كانا قد وصلا إلى نافورة قديمة تتوسط الحديقة بمجسم ملاك طائر من الحديد الذي اهترأ مع الزمن و الأكسدة فبانت عيناه و كأنهما تبكيان صداً أحمر اللون .. جلسا على محيط النافورة و وضع السيد برهان الوردة الزرقاء على وجه المياه و كأنها جثمان هندوسي يودعه أحباؤه في نهر الغانج لآخر مرة قبل إحراقه ..

= وهل هنالك دلائل في الأديان تشير إلى تناسخ الأرواح ؟

= بالطبع .. هنالك آيات قرآنية كثيرة تتحدث عن التناسخ

مثل قوله تعالى :

(نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)

و كما تلاحظين يقول الله .. ننشئكم في ما لا تعلمون أي في غير

الجسد البشري ..

= مذهل ! و غير هذه الآية ..

= قول الله تعالى :

(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)

= أي أن الإنسان يموت في هذه الحياة أكثر من مرة .. مما يعني أنه يعيش أكثر من حياة ..

= تماما .. و أكثر من ذلك قوله تعالى :

(لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)

ما رأيك بها ؟

= آية دامغة .. تشير إلى أن المؤمنين بحق الذي يبتليهم الله في هذه الدنيا بشتى أنواع الاختبارات و مختلف صنوف المآسي التي تذيبهم كالحديد الهندي قبل أن يصاغ طائعاً على هيئة جديدة تبردها نسائم الجنان لتأخذ صورتها الأخيرة .. يموتون مرة وحيدة و ينتقلون بعدها إلى العالم الآخر على تلك الهيئة الملائكية.. أما غيرهم ممن لحقوا شياطين الدنيا و إغواءاتها فأسرفوا على أنفسهم من متعها كذلك الوحش الذي اعتدى عليّ منذ أشهر ، فهم يعيشون أكثر من حياة في أكثر من شكل حتى تتصفى أرواحهم و تؤطر بأشكال أرقى فتصبح نقية مؤهلة للعيش في العالم الآخر ..

= تماما فاطمة .. ذاك الوحش يليق به أن يعود للحياة على هيئة خنزير متمرغ في الوحل كما يتمرغ الآن في وحل الشهوات الدنيئة .. إنك تمتلكين بذرة شاعرة في أعماقك عليك رعايتها لتنبت منها حديقة أدبية كحديقتنا هذه.. و هنالك آيات كثيرة أخرى عن النسخ

و أيضا عن المسخ إلى كائنات أدنى من الإنسان كالقردة و الخنازير و غيرها فالقرآن فصل كل شيء و فيه كهذه الحديقة الغناء زهرة من كل بستان من بساتين الحياة ..

= و هل يؤمن الناس جميعاً بفكرة التناسخ ؟

= لا طبعا .. هنالك من يؤمن و هنالك من يشكك و هنالك من لا يؤمن أبدا ..

= و ما هي الديانات التي تؤمن بها ؟

= كثيرة .. الهندوسية، السيخية، البوذية، الطاوية، الفلسفة اليونانية خاصة أفلاطون و فيثاغورس ، الدرزية ، اليهودية (مبدأ الكابالا) ، العلويون ، وديانات السكان الاصليين الأمريكيين (المايا و الانكا)..

وقفا من جلستهما عند النافورة و تابعا سيرهما نحو أكمة الأشجار في أطراف الحديقة ..

= و هل هنالك قصص معروفة و مشهورة عن أشخاص تناسخت أرواحهم ؟

= بالطبع التاريخ يعج بمثل هذه القصص .. لكنني أذكر حالياً واحدة فقط أثارت دهشتي في شبابي .. عن رجل إنجليزي يدعى **آرثر فلاورديو** من مواليد عام **1906** م عاش حياته كلها في إنجلترا لكن كان لديه دائما ذكريات عن انه حارس معبد منحوت وسط الصحراء و أنه قتل هنالك غدراً .. و في أحد الأيام شاهد الرجل فيلما وثائقيا عن مدينة البتراء القديمة بالأردن فتعرف عليها مباشرةً أنها المكان الذي يتذكره من حياته السابقة ..و قد أجرى عالم آثار يعمل في البتراء مقابلة معه لاختبار ادعاءاته .. فكان وصفه للمدينه دقيقًا جدا بشكل لا يوصف كما انه وصف عدداً من

الاماكن البارزه فى البتراء التي لا يعرفها سوى الخبراء .. إضافةً إلى وصفه المكان الذى قتل فيه بدقة مذهلة و كأن الحادثة وقعت له من سويعات لا أكثر ..

= مذهل !! و هل استحضار الأرواح حقيقة مثبتة علمياً ؟

= سؤال مميز كعادتك .. استحضار الأرواح فكرة غير مؤكدة حتى اليوم بالدليل المادي الملموس .. لكن هنالك تجارب غريبة كثيرة وثقتها كتلك المذكورة في سلسلة كتب الباحث المصري الشهير **رءوف عبيد** تحت عنوان (**الإنسان روح لا جسد**).. و بغض النظر عن صحتها ، فإن فكرة استحضار الأرواح لا تتناقض مع الخلاصة التي توصل إليها مؤلف الكتاب الذي أقرأه ، البروفيسور سيكويا ، فالاستحضار هنا ببساطة شديدة هو استحضار للجسد السماوي .. أي أن البعض (ربما) قادر على التواصل و التخاطر مع بعض تلك الأجساد السماوية بإذن إلهي فتروي لها حكاياتها المختلفة في أجسادها الأرضية بعد أن أنجزتها نهائياً ..

= تفسير وجيز و بسيط و مقنع .. لا أنكر ذلك .. لكن هنالك سؤال هام آخر جدي العزيز ..

= تفضلي فاطمة ..

= إن أعداد النباتات و الحيوانات و الحشرات و الجماد أكبر بكثير من عدد البشر فكيف سيتم تناسخ الأرواح مع كل هذه الأعداد ؟!

= يا له من سؤال منطقي و رائع عزيزتي.. و الجواب عليه ببساطة هي أن عدم اقتران أي جسد سماوي بأي مادة على الأرض لا يعني عجز هذه المادة عن الوجود .. فمثلاً هذه النبتة الجميلة في الزاوية ربما ليست مقترنة بأي جسد سماوي ، لكنها ستنمو و تتابع

حياتها بشكل طبيعي دون أن يعي أي جسد سماوي لحياتها ، بل أجسادنا البشرية نفسها ، ستتابع حياتها بشكل طبيعي حتى في غياب الاقتران مع أي جسد سماوي ، فالغاية من الاقتران هو اقتران الذكريات لتعلم الدروس لا غير.. فالاقتران ليس شرطاً للوجود .. لكن في حال أراد الله لأحد الأجساد السماوية أن تقترن بمادة أخرى تحددها طبيعة أعمال جسده الأرضي السابق ، فسيختار له المادة المناسبة في المكان و الزمان المناسبين ليخوض تجربة معينة بغايات هادفة محددة ..

= منطقي للغاية .. سؤال آخر ..

= و هو ؟

= هنالك بشر ادعوا أن أرواحهم غادرت أجسادهم و رأت كل شيء من حولها .. كما في تجربتي الموت الوشيك و الإسقاط النجمي .. فما تفسير ذلك إن كانت الروح مجرد اقتران بين جسد سماوي و كيان أرضي ؟

= رائع ، نقطة غاية في الأهمية .. و يمكن الإجابة على سؤالك بتحليل هاتين التجربتين ببساطة .. فالإسقاط النجمي يحدث عند وصول الجسد إلى حالة نفسية معينة تقترب من حالة النوم ، لذا فهو بالمحصلة شكل من أشكال الأحلام ..أما الموت الوشيك فهو عبارة عن هلوسات دماغية تحدث نتيجة فيض من الأدرينالين و الإندروفينات المتحرر في ظروف الشدة كالتعرض لحادث مثلاً ، أي أنها تندرج بدورها تحت تصنيف الأحلام التي تستوحي واقعاً معيناً تبعاً لما يسمعه الدماغ من حوله ، فإن تعرضت لحادث مثلاً و نقلت إلى غرفة الإسعاف فدماغك باللاوعي سيسمع الأطباء و الممرضين يتكلمون من حولك فيقوم الدماغ ببناء حلم افتراضي على تفاصيل هذا الكلام و يتخيل صورة غرفة الإسعاف و العاملين فيها .. و الحقيقة أنه ما من دلائل و براهين مؤكدة على صحة

هاتين التجربتين بالأساس ، و يبقى استعمالهما مقتصراً على الأعمال الأدبية و السينمائية لا أكثر .. و بجميع الأحوال هاتين التجربتين هما في النهاية شكل من اشكال الأحلام أي حالة روحية تماماً كالحلم الذي يراود أجسادنا السماوية و نترجمه إلى أحداث بأجسادنا الأرضية .. كما وضح البروغيسور سيكويا في كتابه ..

= منطقي !! ..

= إذن كخلاصة لما سبق ، الجسد السماوي قادر على الاقتران بأي مادة على الأرض (إنسان ، حيوان ، نبات ، حشرات أو حتى جماد) فيخضع لما تخضع له ، لكن هذا الاقتران ليس شرطاً لوجود و حياة المادة .. و هذا ببساطة هو مبدأ تناسخ الأرواح ..

صمت الجد للحظات ثم سأل :

= هل سبق لك و أن شاهدتي فلم ماتريكس الأيقوني الشهير عزيزتي فاطمة ؟

= بالطبع ، فلم مثير ..

= و فيه تضمينات فلسفية غاية في الأهمية ، في أحد مشاهد الفلم يتقابل نيو مع مورفيس لأول مرة ، فيعرض عليه مورفيس حبتين حمراء و زرقاء ..

الزرقاء تمثل عالم الماتريكس الوهمي الذي يكافئ الدنيا التي نعيش فيها .. و الحمراء تمثل عالماً آخر حقيقياً يمثل العالم الآخر الذي ستستيقظ أجسادنا السماوية فيه .. و كان على نيو أن يختار إحدى الحبتين بحكمة .. فالقرار ليس بسيطاً بل ستترتب عليه حياة كاملة لاحقة ، و هذا الاختيار يكافئ قرار الإنسان في الدنيا هل سيحياها بأخلاق و عمل صالح فيذهب إلى العالم الآخر مباشرةً ، أو يتبع فيها شهواته بلا عقل أو ضمير فيعلق في الدنيا مجدداً عبر دورة جديدة من التقمص .. إنها مسألة مصيرية لا تقبل القسمة على اثنين ..

= تشبيه مذهل !!

كانا قد وصلا إلى شجرة في طرف الحديقة فاتكأ الجدّ على جذعها

= يقال بحسب الأسطورة أن أول إشارة إلهية للتناسخ كانت عندما قتل قابيل أخاه هابيل من الحسد و الغيرة .. فنبتت في مكان جريمته شجرة شهيرة تدعى حاليا **شجرة الأخوين** نسبة إليهما .. و هذه الشجرة تذرف سائلا أحمر كالدم عندما نقطعها في الواقع .. و تنتشر بشكل أساسي في **جزيرة سوقطرى اليمنية** .. و يقال أنها كانت وعيداً من الله لقابيل بأنه سيخلق من جديد شجرة تبكي دما ندما على ما فعله .. طبعا لا إثبات لهذا الكلام ..

= هذا كلام مخيف و مطمئن في نفس الوقت ..

= و كيف ذلك ؟؟

= مخيف لأن الإنسان قد يعيش ثانية في أشكال حياة أخرى يجهل تفاصيلها بعد .. و مطمئن لأن الله يمنح الإنسان فرص أخرى للارتقاء بروحه و تخليصها كتعويض لما فاته في فرص سابقة لم يحسن استغلالها ..

ابتسم الجد بإعجاب :

= تماماً .. إنه الخوف الوحيد الباعث على الاطمئنان في الحياة .. فتاة بذكائك و إيمانك و حكمتك لن تكسرها أي صدمة من أي نوع ، اليوم ارتحت بحق بعد أن تأكدت بأنك تجاوزت أزمتك باقتدار و بشكل نهائي.. أنت قوية كصخرة صرخت لحظة من الألم ثم تحطمت عليها الآلام و الرزايا .. تعالي الآن نعود إلى المنزل لتناول الغداء معاً قبل عودتك إلى المنزل .. و قبل خروجي أنا إلى شاطئ دجلة كعادتي مساءً ..

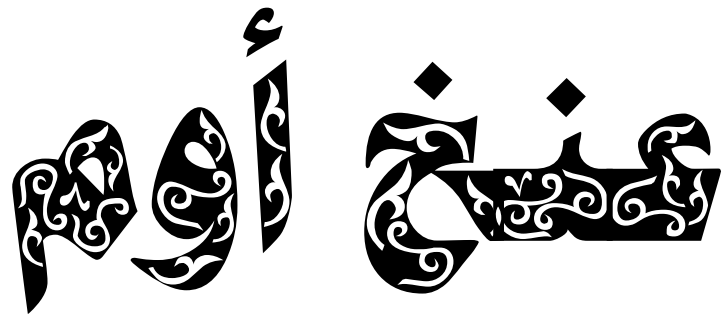

فرنسا / أكسير ..

2077 م ..

في زوايا مدينة فرنسية مبللة بالمطر، وُلد جوليان، ذاك الشاب الذي لا يشي مظهره إلا بفتنةٍ لم تُنصفها الكلمات بعد. كان أشقر الشعر، شعره يميل إلى الذهب حين تلامسه أشعة الصباح، وكأن الضوء يجد في خصلاته مسكناً مؤقتاً. عيناه بلون البحر حين يغضب، زرقاوان عميقتان كمحيط، تضجّان بشيءٍ من العناد والغرور و تحملان مصيره المجهول دون أن يدري، وتكاد كل نظرة منه تُشعل في قلب من يراه أسئلة لا تنتهي. أنفه مستقيم حاد، أما ابتسامته فكانت توازن ما في وجهه من حدّة، إذ تحمل رقةً آسرة، ابتسامة تشبه وعوداً مجهولة أكثر مما تشبه انحناءة شفتين. جسده طويل مشدود، مائل إلى النحافة الأنيقة التي تعكس حياة مفعمة بالحركة، لا الكسل. كل من يلتقيه لأول مرة يظنه بطلاً خرج للتو من لوحة زيتية من عصر النهضة، أو وجهاً أوروبياً أعيد تشكيله على قياس الحكايات الرومانسية.

لكن خلف هذا الجمال المدهش، كان يختبئ تاريخ معقّد. جوليان لم يعرف طفولة مستقرة؛ فقد كان وحيد أبويه اللذين اختارا الانفصال باكراً، حين لم يكن قد تجاوز الخامسة من عمره. ومنذ ذلك الحين صار يتنقّل بين عالميهما المختلفين كعصفورٍ ممزق الجناحين غارق في الإنكار و الكبت النفسي : بين بيت أبيه حيث النظام البارد والصرامة المرهقة، وبيت أمه حيث الدفء المشوب بالفوضى العاطفية. هذا التناقض صاغ داخله هشاشة لم يعترف بها يوماً، بل غطاها بقناع القوة والاستهانة. كبر وهو يركض بين محطتين لا تستقران، حتى قرر عند بلوغه الثامنة عشرة أن يستقلّ، أن يصنع لنفسه بيتاً خاصاً لا يُفرض عليه فيه جدول، ولا يُملى

عليه شعور.كان استقلاله أشبه بإعلان حرب على ماضيه، وعلى أي سلطة تريد أن تحدّد له شكل الحياة.

ومنذ تلك اللحظة، بدا جوليان كمن وُلد من جديد، لا يعرف التوقف ولا القبول بالحدود. قلبه، الذي حمل في طفولته ندوب الوحدة، تحوّل في شبابه إلى ساحة مفتوحة للعلاقات العابرة. لم يكن يؤمن بالارتباط العميق، بل باللحظة التي تشتعل ثم تنطفئ. النساء تعاقبن في حياته كصفحات كتابٍ يقرؤه بسرعةٍ مدهشة، لا يعود إليها ولا يترك لنفسه فرصةً للتأمل فيها. كان يرى في كل علاقة مغامرة جديدة، تجربة طازجة تضيف نكهة لحياته الجامحة. وربما كان في كثرة تلك العلاقات محاولة مستترة لملء الفراغ الذي تركه غياب الاستقرار الأسري كنوع من **دفاعات الأنا** ربما تعويض أو غيره ، لكنه كان يُنكر ذلك بعناد. كل ما يهمه هو أن يعيش، أن يحترق ثم ينهض ليحترق من جديد كطائر الفينيق.

متمرد... تلك الكلمة تكاد تكون مرادفاً لاسمه. جوليان لم يتقبّل يوماً أن يكون نسخة مكرّرة من غيره. كان يسعى دوماً إلى الإثارة، إلى ما يحرّك الدماء في عروقه. يهوى تجربة كل شيء جديد، حتى ولو كان على حافة الخطر. يقفز من المرتفعات بلا تردد، يقود دراجته النارية بسرعةٍ جنونية على طرقات ملتوية، يشارك في حفلات صاخبة تمتد حتى انطفاء النجوم. كل ما هو غير مألوف يستفزه ويستدعيه. كان يؤمن أن الحياة قصيرة جداً ليعيشها وفق القوانين، وأن الحرية الحقيقية تُنتزع لا تُمنح. لهذا كان كثيرون من أصدقائه يصفونه بالبرق : يظهر فجأة، يضيء، يدوّي، ثم يختفي تاركاً خلفه ارتباكاً جميلاً.

ومع ذلك، لم يكن تمرده مجرّد نزوة عابرة. كان يحمل في جوهره عطشاً عميقاً لفهم معنى الوجود. خلف المغامرات والعلاقات

العاطفية السريعة، كان ثمة عقل لا يكفّ عن التساؤل : ماذا لو كان العالم أكبر بكثير مما نظنه؟ ماذا لو كان معنى الحياة يكمن في اللحظة التي نكسر فيها القيود؟ كان يسعى إلى أن يختبر كل زاوية في التجربة الإنسانية، من المتعة إلى الألم، من الفوضى إلى النظام، وكأن روحه لا ترتوي إلا بتذوق النقيضين. وفي أعماقه، كان يعرف أنه لا يهرب من ماضيه بقدر ما يحاول أن يتصالح معه على طريقته، عبر حياة صاخبة تملأ فراغه الداخلي بالصوت والحركة.. و التصالح مع الماضي نضج نفسي لا يتقنه كثيرون

كان جوليان، باختصار، شاباً فرنسياً يختصر في ذاته مفارقات شتى : وجهٌ وسيم يسرق الأنظار، قلبٌ لا يعرف الاستقرار، وذهنٌ متمرد لا يطيق السكون. عاش حياته كقصيدة لم تُكتب على ورق، بل على جسده وروحه وخطواته في شوارع المدن. كان يعرف أن جماله يفتح له أبواباً كثيرة، لكنه كان يدرك أيضاً أن الجمال وحده لا يكفي ليكسر جدار الوحدة القديمة التي ما زالت تتربص به في الظلال. لذلك ظل يركض، يبحث، ويغامر، وكأن كل يوم قد يكون الفرصة الأخيرة لإعادة اكتشاف أو ربما اختراع نفسه من جديد.

حين بلغ جوليان الثانية والعشرين، كان لا بد أن يجد لنفسه ما يسميه الآخرون (استقراراً). الكلمة وحدها كانت تثير فيه شيئاً من السخرية، لكنها في الوقت نفسه بدت ضرورة لا يمكنه الفرار منها. فالمغامرة قد تشعل الروح، لكنها لا تدفع الإيجار ولا تسدّ جوع المعدة. هكذا قاده القدر ـ أو ربما سلسلة من المصادفات المتعبة ـ إلى مقعدٍ بيروقراطي داخل شركة تكنولوجيا مرموقة، حيث صار موظفاً صغيراً وسط مئات الوجوه التي تشبه بعضها حتى التماهي. لم يكن ذلك العمل حلماً ولا حتى خياراً واعياً؛ كان مجرد طوق نجاة ألقى به في بحر الحياة، فتمسك به كي لا يغرق.

في البداية، راق له بريق الاسم التجاري للشركة. كان يحدّث نفسه بفخر : (*ها قد أصبحت جزءاً من شيءٍ ضخم، مؤسسة يعرفها العالم، ربما يكون هذا مدخلاً إلى حياة مختلفة*). لكنه سرعان ما اكتشف أن الواجهة لا تشبه الداخل، وأن العظمة المزعومة تتبخر حين تُختزل مهماته اليومية في إدخال بيانات لا معنى لها، مراجعة ملفات لا روح فيها، والرد على رسائل إلكترونية متكررة كأنها مستنسخة من بعضها. كل صباح يخرج من شقته بوجهٍ جميل يخفي ضجراً عميقاً، يمشي إلى المكتب بخطوات ثابتة، يجلس خلف شاشة باردة، ويقضي ساعاته في صراع صامت مع الفراغ الذي يبتلعه. لقد تحوّل يومه إلى نسخة كربونية من الأمس، وغده لم يعد سوى مرآة باهتة لهذا اليوم.

كان يحدّث نفسه أحياناً : (*أهذه هي الحياة التي انتظرتني؟ سلسلة من الأعمال الصغيرة الميكانيكية التي يستطيع أي جهاز آلي أن يؤديها بدقةٍ أكبر وبلا ضجر؟*) كان يشعر أن الشركة تستنزف أجمل ما فيه : روحه التواقة للتحرر ،شغفه بالمغامرة، نزعته إلى التجديد. كلما ضغط على لوحة المفاتيح أو وقع على وثيقة، كان كمن يوقّع حكماً بالإعدام على جزءٍ آخر من روحه. لقد كان العمل أشبه بسجنٍ لا قضبان له، سجنٍ تتخفى أسواره في شكل راتبٍ ثابت، ومقعدٍ مضمون، وتأمين صحي، وكأن الحياة كلها يمكن اختزالها إلى تلك الامتيازات الزائفة.

مراتٍ ومرات، جلس جوليان على مكتبه يتأمل نافذة صغيرة تطل على المدينة. هناك، وراء الزجاج، كانت الحياة تمضي بحرية، بينما هو عالق في حلقة رتيبة تخنقه. كان يتخيل نفسه وهو يترك كل شيء خلفه : يستقيل، يجمع حقيبته، ويخرج إلى الشارع بلا رجعة. كان يبتسم حين يفكر في تلك اللحظة، ابتسامة تحمل مزيجاً

من الأمل والجنون. لكن ما إن يعود إلى الواقع حتى يصطدم بجدار الحقيقة الصلد : ماذا بعد؟ إلى أين يذهب؟ بأي وسيلة يعيش؟

لم يكن يملك شهادة جامعية تُفتح بها الأبواب، ولا موهبة واضحة يمكن أن تبني له مساراً جديداً. كل ما امتلكه كان جمالاً أخّاذاً، واندفاعاً نحو الحياة، وروحاً عاشقة للتجربة. لكن تلك الأشياء، على روعتها، لم تكن كافية في عالم يحكمه الورق والأختام والسير الذاتية المليئة بالخبرات. كان يطرق الأبواب، يبحث عن وظائف تناسبه أكثر، يرسل طلبات هنا وهناك، فلا يأتيه سوى صمت بارد أو اعتذار مهذب. كل محاولةٍ كانت تنتهي بخيبة، وكل خيبةٍ تزيد قيوده ثِقلاً.

ومع ذلك، لم يفقد جوليان إصراره الداخلي. كان يشعر أن هذه المهنة ليست قدراً، بل مرحلة قاسية عليه أن يعبرها. ربما كان العمل أشبه بالامتحان الذي يفرض عليه الصبر والتحدي، وربما كانت هذه الرتابة اليومية هي التي ستدفعه يوماً إلى كسر السلاسل بأقوى مما تخيّل. لكنه في تلك اللحظات، وهو جالس في مكتبه الموحش، لم يكن يرى سوى وجهه المنعكس على شاشة سوداء مطفأة، وجهاً جميلاً متعباً، يحمل ابتسامة واهية لرجل يحاول أن يقنع نفسه بأن الغد سيأتي مختلفاً، بينما يداخله يقين خفي أن الغد لن يكون سوى نسخة أخرى من اليوم.

وهكذا ظل جوليان، بين جدران المكتب البارد، عالقاً بين حُلمين متناقضين : حلم الانعتاق إلى حياة تليق بروحه المتوثبة، وحلم الأمان الذي فرضته عليه الظروف. كل يومٍ كان يزداد اقتناعاً أن الحياة الحقيقية تجري بعيداً عن الأوراق واللوائح، وأنه إن بقي طويلاً على هذا النحو، سيفقد ذاته شيئاً فشيئاً، حتى يصبح مجرد رقم آخر في منظومة ضخمة لا تعبأ بأحلام الأفراد.

****

لم يكن جوليان يعلم أن آخر إجازة يقرر خوضها ستتحوّل إلى علامة فارقة تُعيد كتابة مصيره. كانت **هاواي** بالنسبة له حلماً طويلاً، جزيرة من الضوء والموج والحرية، مكاناً يلبي النداء العميق الكامن في روحه : نداء المغامرة الذي لم يهدأ منذ طفولته. ما إن وطئت قدماه الشاطئ حتى شعر كأن الأرض هناك خُلقت لأمثاله، أولئك الذين يبحثون عن الحياة في حواف الخطر. الرمال الناعمة تحت قدميه بدت كأرض جديدة لمستكشف، والمحيط الممتد أمامه كأفق لا نهاية له. الهواء مشبع برائحة الملح والنسيم، والسماء صافية إلى حد يبعث على النشوة.. إنها لحظات ثمينة أخرى يسرقها من جفن الحياة البيروقراطية ..

هناك، وقف جوليان يحمل لوح التزلج على الأمواج، عيناه تلمعان بالفرح، وقلبه يخفق بما يشبه الانتصار. لطالما حلم بأن يواجه البحر وجهاً لوجه، أن يركب الموجة لا كرياضة، بل كفعل وجودي، كتجسيدٍ لصراعه الأبدي مع القيود. كل لحظة على اللوح كانت أشبه برقصة بين جسده والماء، بين توازنه وروح البحر المتقلبة. كان يصرخ من نشوة الانطلاق، كطفل وجد أخيراً لعبته الكبرى.

غير أن المغامرة، كعادتها، تحمل في طياتها وجهين : وجه النشوة ووجه الفاجعة. في يومه الأخير، حين كان المحيط في حالة هيجان و تعالت نداءات التحذير من ركوب الأمواج، لمح موجة شاهقة ترتفع كجدار من الماء. في عينيه، لم تكن خطراً بل تحدياً، وعداً بلقاء لا يتكرر. دفع بلوحه نحوها بكل ما أوتي من اندفاع، صعد فوقها بشجاعة مدهشة، لحظة خاطفة شعر فيها أنه يعلو على العالم بأسره. لكن الموجة خانته. أو ربما لم تخنه، بل ذكّرته بقانونه الأبدي : *أن لا أحد يتحدى البحر بلا ثمن*. انقلب اللوح بعنف، جرفه الماء، ارتطم جسده بقوة بصخرة خفية في عمق المحيط. في تلك اللحظة القصيرة، انطفأ كل شيء : الصوت، الضوء، الإحساس. لم يبقَ سوى وجع مباغت اخترق ظهره وأطفأ نصف جسده كما تُطفأ شعلة باردة.

حين انتُشل من الماء، كان وجهه الشاحب لا يزال جميلاً، لكن عينيه المذعورتين كانتا تعرفان ما لا يجرؤ لسانه على قوله. الأطباء في المستشفى قالوها ببرودٍ سريري : **إصابة في العمود الفقري، شلل نصفي سفلي.** كلمات ثقيلة سقطت على أذنه كأحجار تنهار على صدره. لقد انتهت حياة المغامرة. انتهت اللحظة التي كان فيها سيد جسده وسيد الموج. وما تبقى هو كرسي متحرك، صامت، بارد، رفيق أبدي مفروض عليه إلى أجلٍ غير معلوم.

عاد جوليان إلى فرنسا لا كمغامرٍ عائد من رحلة، بل كأسيرٍ في جسده. فقد عمله؛ فالشركة لم ترَ فيه سوى عبء لم تعد تريده. أصدقاؤه ابتعدوا تدريجياً، بعضهم خجلاً، بعضهم هرباً من ثقل المصيبة. أما هو، فوجد نفسه وحيداً في شقة صغيرة مغلقة الأبواب، تحولت جدرانها إلى سجن آخر أشد قسوة من مكتبه القديم ، و كان الروتين الجديد أشد وطأة : لم يعد يملك حتى حرية الحركة، صارت ساعات يومه ثقيلة كالأغلال، يراقب من نافذته

ضوء الصباح ينساب على الشوارع بينما يبقى هو حبيس الكرسي، جسداً نصفه ميت وروحاً كاملة تتألم.

الأصعب لم يكن الألم الجسدي ولا فقدان الدخل، بل فقدان ذلك الشيء الذي كان يميزه : قدرته على أن يحيا المغامرة كما يريد. في صمته الطويل كان يستعيد صور الأمواج، يغمض عينيه فيتخيل نفسه واقفاً على اللوح، متوازناً على كتف البحر. لكن ما إن يفتح عينيه حتى يواجه قسوة الحقيقة : كرسي ضيق، أرضية باردة، ووقت ممتد بلا معنى.

لقد تحوّل جوليان من شابٍ كان يعدو وراء الحياة كمن يطارد شهاباً، إلى رجلٍ يراقب شهب أحلامه وهي تنطفئ من وراء الزجاج. ومع ذلك، في أعماقه، ظل هناك جمر صغير لم يخمد تماماً. كان يعرف أن المغامرة لم تعد في البحر أو في المدن أو في العلاقات، بل باتت كامنة في معركة أصعب : أن يتعلم كيف يعيش من جديد، مقيداً، بلا جسدٍ حر، لكن بروح تأبى أن تُطفأ.

لم يكن جوليان هو نفسه بعد الحادثة. بدا وكأن البحر، حين أسقطه على تلك الصخرة، لم يُطفئ نصف جسده فحسب، بل أشعل نصفه الآخر في اتجاه مختلف تماماً. لقد انقشع عنه شيء من الغرور القديم، وتهاوت اندفاعاته الطائشة كما تسقط أوراق الخريف. صار أكثر صمتاً، أكثر تأملاً، وأشد ميلاً إلى عالمٍ داخلي لم يكن يلتفت إليه من قبل. كأن الألم فتح له نافذة جديدة على الروح. في الليالي الطويلة التي يقضيها في شقته، كان يجد نفسه متورطاً في حوارات سرية مع الوجود، يتأمل أسئلة لم تكن تخطر له يوماً : معنى الحياة، سرّ المعاناة، جدوى السعادة العابرة، وما الذي يبقى من الإنسان حين تُسلب منه حريته الجسدية.

هكذا انجذب شيئاً فشيئاً إلى الروحانيات. صار يقرأ كتباً عن

التأمل، يستمع إلى محاضرات عن الصفاء الداخلي، يتتبع سير الحكماء والأنبياء والفلاسفة. كان يشعر أن هذا الطريق هو حبله الأخير في مواجهة واقعه المرير، طوق نجاة يمنحه أملاً خفياً. لم يكن التدين عنده شكلاً أو طقساً، بل بحثاً عطِشاً عن معنى، عن يد غير مرئية تنتشله من وحدته. كان يغمض عينيه في صلاته، أو حين يتأمل، فيحسّ أن روحه تتحرر للحظة، وأن الكرسي الذي يقيّده يصبح مجرد قشرة لا سلطان لها على أعماقه.

ومع ذلك، لم يكن بوسعه أن يعيش على الروح وحدها. الواقع كان حاضراً كل يوم، ثقيلاً كالحجارة. ساعات طويلة يقضيها محبوساً بين أربعة جدران، وحيداً في مواجهة صمته وذكرياته. في البداية كان يهرب إلى مواقع التواصل الاجتماعي. كان يقلب الصفحات بلا هدف، يتنقل من صورة إلى مقطع، من خبر إلى نكتة، فقط ليُنسي نفسه مرارة الواقع. أحياناً كان يضحك من شيء تافه، وأحياناً أخرى يشعر أن كل ما يراه يزيد فراغه فراغاً. لكنه كان يعود إليها مراراً، كما يعود الغريق إلى خشبة واهية، لأنها تمنحه على الأقل وهماً بأنه لا يزال على قيد الحياة و لم يغرق بالكامل.

إلى أن جاء ذلك المساء المختلف. كان يجلس أمام شاشة حاسوبه، يراقب أحد المدونين يتحدث بحماس عن حياته اليومية، يشارك الناس تفاصيل صغيرة لا قيمة لها في الظاهر، لكن آلاف المتابعين كانوا يعلقون ويتفاعلون كأنها درر ثمينة. فجأة خطر لجوليان سؤال بسيط :(*لماذا لا أفعل أنا ذلك ؟*) لقد كان في داخله رصيد من الحكايات، من الأفكار، من التجارب المريرة والملهمة. وللمرة الأولى منذ زمن بعيد، شعر أن أمامه باباً يمكن أن يفتح له العالم من جديد، باباً يجمع بين متعته في الكلام، وفضوله الذي لا ينتهي، وحاجته الملحّة إلى عمل يتناسب مع وضعه الجديد.

وفي اليوم التالي بدأ التخطيط. قرر أن يفتتح قناة على يوتيوب. لم

يشأ أن يقيّدها في موضوع محدد؛ حياته نفسها كانت خليطاً متناقضاً، فلماذا لا يعكس ذلك في مشروعه؟ أطلق عليها اسم **"كوكتيل"**، مثل ذَنب الديك الملون، خليط من كل الألوان. أرادها مساحة حرة تتسع لكل شيء : فيديوهات روحية عن التأمل والإيمان، أحاديث ثقافية عن الكتب والأفكار، فقرات فنية عن الموسيقى والسينما، لمحات رياضية يتحدث فيها عن روح التحدي رغم عجزه، بل حتى خواطر سياسية ساخرة يفرغ فيها ما يجول بخاطره. كانت فكرته أن يجعل القناة مثل مقهى مفتوح، يدخلها الناس ليجدوا على الطاولة كل ما تشتهيه نفوسهم.

في البداية، لم يتوقع الكثير. جلس أمام الكاميرا بخجلٍ خفيف، لكنه سرعان ما اكتشف أن حضوره الطبيعي، وصوته الصادق الممزوج بجرحٍ حقيقي، كانا كافيين لجذب الناس. شيئاً فشيئاً بدأت الأرقام تكبر : عشرات، ثم مئات، ثم آلاف. التعليقات تتوالى ، بعضها يشكره لأنه ألهمهم الصبر، وبعضها يطلب المزيد من قصصه، وبعضها يضحك على نكاته البسيطة. وفي غضون أشهر، تحوّل "كوكتيل" إلى ظاهرة صغيرة، ثم إلى نجاح باهر. عدد المتابعين بلغ مئات الآلاف، والدخل الذي درّته القناة تجاوز بكثير راتبه القديم في الشركة.

لكن الأهم من المال كان الإحساس الجديد الذي عاد إلى قلبه : الإحساس بالحياة. لقد امتلأت ساعاته من جديد بعملٍ يحبه، عمل لا يخلو من متعة ومغامرة، وإن كان من داخل جدران شقته. كان يستيقظ كل صباح بفكرة جديدة، يعدّ الفيديو، يسجل، يحرر، ثم يرفعه ليشاهده جمهور ينتظر. صار الكرسي المتحرك ليس سجناً، بل منصة. لم يعد وحده؛ صار محاطاً بعالم من الوجوه والأصوات، بآلاف الأرواح التي تتصل به عبر الشاشة.

شعر جوليان، للمرة الأولى منذ الحادثة، أن قلبه ينبض بالحياة من

جديد. نعم، لم يعد قادراً على ركوب الموج أو القفز من المرتفعات، لكن المغامرة لم تمت داخله، بل تبدّل شكلها. صارت المغامرة الآن في أن يحوّل جرحه إلى قصة، وأن يصنع من وحدته جسراً يصل بينه وبين الآخرين. كان يبتسم وهو يقرأ تعليقات متابعيه، يردد في نفسه : (*ربما لم يعد لي جسد حر، لكن روحي الآن أوسع من أي محيط.*)

****

كان الترند المنتشر في هذه الفترة هو (**الروح**) بعد أن انتشرت فرضيات جديدة عن ماهيتها و حقيقتها ، فسأل جوليان نفسه : (*لم لا ؟*) ، اليوتيوب كركوب الأمواج ، يقتضي أن تركب موجة الترند باستمرار ، (*و من أدرى مني بصرخة الروح السجينة في الجسد عندما يأتي أوان تحررها ؟*) .. لم يتأخر ، أعد حلقة متخمة بالمعلومات عن الروح و نصب الكاميرا أمامه و بدأ يسجل :

(منذ فجر التاريخ، لم يعرف الإنسان سراً أشد غموضاً من سرّ الروح. الجسد كان أمامه دائماً، يراه، يلمسه، يشرّحه ويفهم قوانينه. أما الروح فكانت هاربة، تتوارى عن العين كطيفٍ لا يُمس، وتطل عليه فقط حين يتنفس في صدره أو يتركه إلى حيث لا عودة. لهذا، شغلت الروح عقول البشر في كل حضارة، وصارت هي اللغز الأعظم الذي التفّت حوله الأساطير، وتجلّت فيه الأديان، وتناقلته الألسنة في الحكايات الشعبية.

في التراث الشعبي، لم تكن الروح مجرد مفهوم فلسفي، بل كانت حقيقة يومية يعيشها الناس. كم من أمٍّ أوروبية كانت تحكي لأطفالها أن الأرواح تطير كالعصافير الصغيرة بعد النوم، ثم تعود مع أول خيط من الصباح. وكم من فلاح عربي كان يعتقد أن الروح مثل نسمة خفيفة، تخرج من الجسد عند الغفلة لتسافر في الأحلام، ثم تعود عند اليقظة. في إفريقيا كان الناس يتحدثون عن الأرواح

ككائنات تسكن الأشجار والأنهار، تحفظ التوازن بين البشر و الطبيعة، فإذا أُهينت تلك الأرواح، غضبت الطبيعة وأرسلت جفافاً أو فيضاناً. هكذا كانت الروح جزءاً من الحياة اليومية، يفسرون بها ما لا يفسرونه بالعقل.

أما في الحضارات القديمة، فقد ارتفعت الروح إلى مصافّ الكلمة المقدسة. عند **المصريين القدماء**، كانت الروح تتجزأ إلى عناصر عدّة : كا ، با و آخ .. **كا** هي جوهر الحياة، تظل ملازمة للجسد حتى بعد الموت، و **با** هي الحرية الطائرة التي تشبه طائر أبو منجل، قادرة على مغادرة القبر والتحليق. كانوا يعتقدون أن الروح لا تستقر إلا إذا كان الجسد محنطاً ومحفوظاً بعناية، لذلك شيّدوا الأهرامات كبيوت أبدية للروح قبل أن تكون للأجساد. و **آخ** هو اتحاد الروح مع الآلهة في العالم الآخر ..

و كانت الرموز الروحية عندهم كثيرة ومعقدة. **عنخ**، الصليب ذو الحلقة في الأعلى، لم يكن مجرد علامة، بل مفتاح الحياة والخلود، رمز الروح التي لا تموت، التي تنتقل من جسد إلى جسد، من عالم إلى عالم. و **رمز الصقر، أو الإله حورس**، كان يمثل عين الروح، عينها التي ترى الحقيقة وراء الأفق، التي تحرس الإنسان وتحمي جوهره من الظلام.. و **الجعران** يرمز الى التجدد و البعث ..

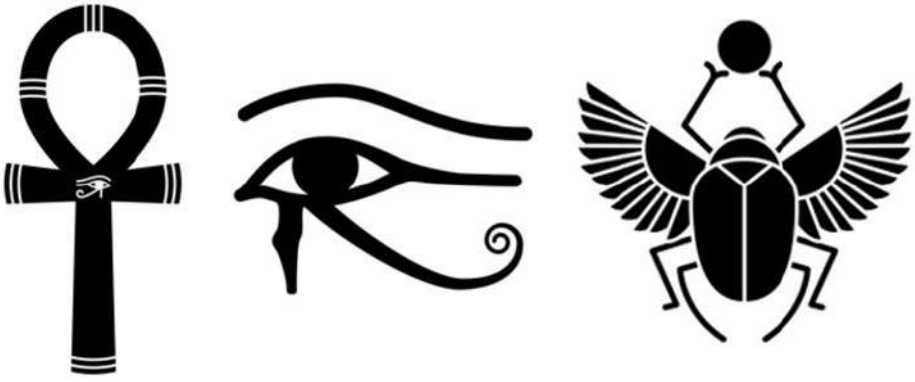

وفي **الحضارة الإغريقية**، كانت الروح تسمى **"بسيخي"**، ومنها جاء معنى **"النفس"**. صوروها في أساطيرهم كفتاة رقيقة ذات

أجنحة، قادرة على الهروب من قيود الجسد. هوميروس في الإلياذة كتب أن الروح تترك الجسد مع آخر نفسٍ يخرجه الإنسان. لكن الفلاسفة، من أفلاطون إلى أرسطو، أعطوا الروح أبعاداً أبعد من الأساطير: أفلاطون قال إنها خالدة أزلية، تنتمي إلى عالم المثل قبل أن تسجن في الجسد، أما أرسطو فاعتبرها مبدأ الحياة، هي التي تجعل المادة جسداً حيّاً لا مجرد طينٍ خامد.

و رمزوا للروح برموز عديدة كالفراشة أو الشعلة ..

في **بلاد الرافدين (سومر ، بابل ، آشور)** ، اعتقدوا أن الروح تترك الجسد عند الموت وتذهب إلى أرض اللاعودة (إرشيكيغال / العالم السفلي). الروح لم تكن بالضرورة خالدة أو سعيدة، بل حياة الموتى غالبًا كانت تُصوّر مخيفة وكئيبة.، و قد تعود الأرواح الميتة إذا لم تُدفن بطريقة صحيحة أو لم تُقدم لها القرابين.

و هؤلاء رمزوا للروح بشجرة الحياة أو النجمة الثمانية ..

في **الصين القديمة** ، في الفكر الطاوي والكونفوشي : الإنسان له روحان أساسيتان : **هون** و هي الروح العلوية، ترتبط بالسماء وتبقى بعد الموت. و **بو** و هي الروح السفلية، ترتبط بالجسد والأرض وتذبل بعد الموت. و رمزوا للروح بدائرة اليين و اليانغ أو بالتنين ..

في **الحضارات الأمريكية القديمة** ، اعتقدت المايا أن الروح يمكن أن تسكن حيوانًا أو أن تكون لها صلة بروح حارسة (ناغوال). أما الأزتك رأوا أن الروح تتكون من عدة قوى (مثل تُوليّو في القلب وتُويوليا في الدماغ)، وتحدد أعمال الإنسان مصيرها في العالم الآخر.. و رمزوا للروح بطائر الكوندورالذهبي أو القناع الذهبي الذي يرتدونه في الطقوس ..

و في **الهند القديمة**، حيث برزت الفلسفات الدينية الكبرى، كانت الروح ـ **آتمن** ـ جزءاً من المحيط الكوني الأعظم. عند **الهندوس**، الروح أزلية لا تفنى، تدخل في جسد ثم تغادره لتعود في جسد آخر في دورة لا تنتهي تُسمى سامسارا . هذه الدورة لا تنكسر إلا إذا عرفت الروح حقيقتها واتحدت مع برهمان ، الجوهر الكوني. أما **البوذية**، فقد نظرت للروح نظرة مختلفة، إذ أنكرت وجود جوهر ثابت، ورأت أن ما نسميه "الروح" هو مجرد تدفق متغير من المشاعر والأفكار والطاقات، وكل تعلقٍ بها هو سبب للمعاناة.. و التحرر منها هو النيرفانا ، و رمزوا للروح بالأوم ، زهرة اللوتس

و الماندالا ..

وعند **الفرس الزرادشتيين**، كانت الروح ميدان صراع بين النور والظلمة. الإنسان وُهب روحاً نورانية من أهورامزدا ، لكنها مهددة دائماً بوسوسة قوى الشر. ومن ينجح في الحفاظ على روحه نقية يعبر جسر شِنْفَت بعد الموت إلى الجنة، ومن يسقط يغرق في جهنم.. و كان رمز الروح لديهم هو النار ..

أما **الأديان الإبراهيمية**، فقد جعلت الروح نفخة إلهية خالصة. في النصوص التوراتية، الروح هي **نَفَش** ، النسمة التي منحها الله لآدم فصار كائناً حيّاً. في المسيحية، الروح هي المعجزة التي تتجاوز الجسد، وهي أيضاً **الروح القدس**، الحضور الإلهي القريب من المؤمنين. أما في الإسلام، فجاءت الروح لغزاً مكنوناً : (*ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا*).
ومع ذلك، ظلّت الروح في الإسلام نفحة ربانية، رمزاً للكرامة الإنسانية، وسبباً لقيام الجسد بالحياة.

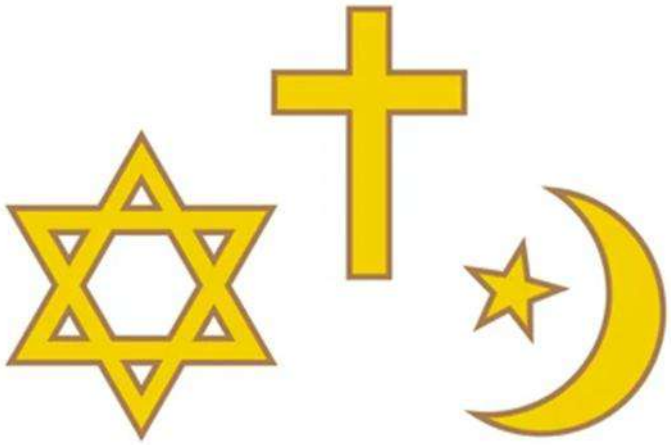

كل حضارة إذاً وضعت مرآتها الخاصة أمام الروح، لكن شيئاً واحداً لم يتغير : الشعور العميق أن هناك في داخلنا جوهراً لا يخضع للزمن. قد يشيخ الجسد، قد يمرض، قد يُشل كما حدث معي ، لكن الروح تبقى، ترفض الانكسار، تبحث عن حرية أوسع.
لذلك، كان الناس عبر العصور يحكون عن الأرواح كطيور لا تقبل الأقفاص، كشرارات تشتعل في العتمة، كأغانٍ تسمعها القلوب قبل الآذان.

إن التراث الشعبي، والأساطير، والأديان، على اختلافها، لم تكن إلا محاولات إنسانية لفهم هذا الغائب الحاضر. الروح هي الغربة التي نحملها ونحن على الأرض، والحنين الذي لا يفسَّر، والشوق الدائم إلى ما وراء المرئي. وربما، في النهاية، لا يهم كيف نصفها

نحن : نسمة، طائر، نور، جوهر... المهم أنها الشيء الوحيد الذي يجعلنا بشراً، الشيء الذي يجعلنا ننظر إلى السماء ونسأل : من نحن؟ وأين موطننا الحقيقي؟)

أخذ جوليان نفساً عميقاً، وعيناه تنظران مباشرة إلى عدسة الكاميرا، كأنهما تلتقيان بروح كل مشاهد يجلس خلف الشاشة. ثم قال بصوت هادئ لكنه مشحون بشيء من النور الداخلي :

(ربما كنتم تتساءلون طوال هذه الحلقة : ما علاقة كل هذه الرموز، هذه الحضارات، كل هذا الحديث عن الروح، بحياة شخص واحد، بحالته؟)

ابتسم ابتسامة خفيفة، وكأن السؤال نفسه كان مفتاح الإجابة.

(حسناً ، جسدي أصبح مقيداً. الكرسي المتحرك أصبح نافذة وحدتي، لكنه لم يقيد روحي أبداً. أستطيع أن أطير داخل عقلي، أستطيع أن أزور كل الزوايا التي حلمت بها، أن أغوص في أعماق النفس، أن أختبر كل رموز الروح التي تحدثنا عنها و أحقق النيرفانا على طريقتي الخاصة. لقد أسر جسدي، لكن هذا الأسر أطلق روحي. فلم أعد مضطراً لملاحقة الأمواج أو التسلق، لأن المغامرة الحقيقية هي هنا ..)

وضع يده على صدره .

(في داخلي، في كل لحظة أختار أن أرى فيها النور، أن أستمع، أن أعيش، أن أحرر نفسي من قيود العالم الخارجي. و ليست دورة السامسارا الأزلية في مكاتب التوظيف البيروقراطية)

ثم ابتسم بطريقة لم يكن يمكن لأي مشاهد أن ينساها، وأضاف :
(لذلك، إذا كان هناك شيء يمكن أن تأخذوه من هذه الحلقة، فهو أن الروح لا تحتاج إلى أقدام لتطير، ولا إلى جسد كامل لتشهد

الحياة. الروح حرة دائماً، حتى حين يقيدنا الواقع. وأعدكم، في كل حلقة من هذه القناة، سأحاول أن أريكُم كيف يمكن للروح أن تتحرر، مهما كانت القيود حولنا.)

رفع يده تحية، هذه المرة وكأنها ليست وداعاً بل تأكيد على الانطلاق، وقال :

(شكراً لأنكم كنتم معي اليوم، شاركوا هذا الفيديو مع من تحبون، واضغطوا على زر الاشتراك لتظلوا جزءاً من هذه الرحلة.
ولنتذكر جميعاً : أحياناً، الأسر هو الذي يجعلنا نكتشف الحرية الحقيقية.. فالنور الحقيقي ينبلج من قلب العتمة)

أطفأ الكاميرا، وبدا الصمت في الغرفة ممتلئاً بالحياة، كأن كل جدار، كل شعاع ضوء، وكل ظل، يعكس الروح التي تحررت من قيود الجسد، حرة، متوهجة، غير قابلة للانكسار.

العالم الآخر

(حيّ بن يقظان)

العالم الآخر ..

المقصورة الزجاجية ..

ارتجف صوت أريان وهو يلتقط أنفاسه المضطربة، ما زال غير قادر على استيعاب المشهد الذي يحيط به. رفع بصره نحو الجهاز الكروي الذي يضيء كقمر مكتمل و قال :

= أهذا حُلم؟ موت وشيك ، أم هذيان ما بعد الحادث؟ أين أنا حقاً؟ هل أي من هذا كله حقيقي ؟

جاءه الصوت الأنثوي مجدداً، هادئا، عميقًا و مطمئنا كأنه بلسم للآذان يتسلل من مسافة لا تُقاس بالزمان ولا بالمكان :

= لا، ليس حلماً يا بني... لقد متَّ هناك، على الأرض، تحت ضوء مصابيح المشفى الذي عملت فيه طويلاً. قلبك توقف، وجسدك الأرضي استسلم، أما الآن فأنت هنا، في العالم الآخر، حيث تبدأ الحياة من جديد.

ارتعش قلبه من وقع الكلمة : ميت ؟ كررها في داخله كما لو أنها صخرة سقطت في بئر مظلم. لكن المفارقة أن صوته هنا لم يتهدج، بل خرج صافياً، وكأن الموت محا ارتباك الجسد.

أعاد النظر إلى الزجاج المنحني أمامه، فانعكس مجددا وجه لا يعرفه. عيون أكثر اتساعاً أقرب إلى لون العسل المصفّى ، شعر محايد ليس داكناً و لا فاتحاً .. ملامح تقف على نصل بين حدين الجدية و البشاشة ، جسد لم يكن له .. ارتجف ثانية ، مصفوعاً بالمفاجأة ، ثم قال بتوتر :

= لكن هذا... هذا ليس أنا !!! لماذا تغيّرت ملامحي؟ أين وجهي؟

أين جسدي؟

ابتسم الصوت على نحو يُشعر لكنه غير منظور و قال :

= لكل إنسان جسدان يا بني؛ جسد أرضي تحيا به على كوكب الأرض ، وجسد سماوي يقترن به هنا. حين يموت الجسد الأرضي يتفتت إلى ذرات لا عودة لها، لكن عندها سيستيقظ الجسد السماوي الذي لا يفنى، ويبدأ رحلة أبدية في هذا العالم. هذا هو جسدك الآن ، جسدك الحقيقي بعد أن تحرر من ثِقَل التراب.

جلس أريان على حافة السرير الغريب، يتلمس يديه الجديدة، جلده، وجهه، حتى صوته بدا مختلفاً. قال بصوت متهدج بالدهشة :

= و لماذا هذا الشكل دوناً عن سواه ؟

أجابه الصوت الأنثوي :

= الأجساد السماوية هنا متشابهة في هيئتها الأولى ، الهيئة التي اختارها العلم بالدراسة و التحليل ، كلنا هنا شخص واحد و أتينا من نور واحد .. هنا ليس الشكل ما يمنحك فرادتك، بل جوهرك وما تختاره أن تكون. إذ لديك فرصة أن تعيش أي تجربة تريدها، في أي جسد تختاره ، وفي أي بيئة تنتقيها و تفضلها متى شئت ، عبر **عدسات الواقع اللامتناهي**... بها تستطيع أن تتقمص أي شخصية أي صورة، أن ترى نفسك كيفما تشاء، أن تعيش حيوات لا تنتهي في عوالم لا تنفد. كل ما عليك فعله أن تختار البيانات المرغوبة ، وستُخلق التجربة أمامك كما لو كانت حقيقة مطلقة.

شعر أريان وكأنه أمام سرّ أكبر من أن يحتمله. أصغى لقلبه فإذا به يخفق ليس بالخوف، بل بالترقب. و في عينيه لمعان طفل اكتشف باباً خلفياً لحياة تحمل في طياتها كثيرا من الإثارة و المتعة. همس

بشغف لم يستطع كبحه :

= أيمكنني... أن أجربها الآن؟ أيمكنني أن أرى تجسيد هذا الكلام بعيني؟

ساد الصمت لحظة، كأن المقصورة كلّها حبست أنفاسها، ثم أجاب الصوت بنغمة دافئة تشبه وعداً :

= نعم، حان الوقت أن ترى ... و هذه هبة لكل انسان تطأ قدماه العالم الاخر .. انظر فوق مجسم الكرة الزجاجية ستجد عدستي عين لاصقتين ، ارتديهما و سأخبرك بعدها ما ينبغي عليك فعله ..

في تلك اللحظة انبثق نور ناعم من قلب الجهاز الكروي، وشعر أريان أن الهواء من حوله يتكثف كستارة حريرية شفافة، يوشك أن تُفتح لتكشف له مسرحاً لا نهائياً من العوالم. ارتعش جسده السماوي، لكنه لم يتراجع؛ كانت الحماسة أقوى من الخوف. مد يده نحو الكرة الزجاجية و التقط العدستين من عليها ثم ارتداهما بسهولة ..

جلس على حافة المقصورة، وكأن قلبه لم يعد يملك مكانًا في جسده السماوي من كثرة الترقب. أمامه، على حافة رؤيته الجديدة في

العدسات ، تكدّست قائمة بيانات شفافة .. قرأ البند الأول : **اختر تجربتك** ..

لم يكن الاختيار مجرد نقرة أو لمسة ، بل أوامر شفوية تكفي ..

قال الصوت الأنثوي برفقٍ آسر، كأنما يحاول أن يلمس رغبة دفينة في روحه :

= هيا أريان ، اختر ما تريد أن تعيشه و تجربه ..

تردد أريان لحظة، ثم تذكّر شيئًا صغيرًا من طفولته : صورةٍ لطيور سوداء وبيضاء تمشي بوقار على جليد لا نهاية له
البطاريق ، مذ رآها على شاشة التلفاز في طفولته و حلم جميل ولد في قلبه أن يراها بأم العين ذات يوم .

ابتسم ..

= أريد أن أرى البطاريق... أريد أن أعيش هذه التجربة في جسد شاب أشقر، في القطب الجنوبي لكوكب الأرض ..

ضحِكَ الصوت الأنثوي، ضحكته رقيقة محببة و مفعمة بالحنان و الأمان ، وتكشف عن معرفةٍ لا يخفى عنها شيء ..

= البطاريق... حلم الطفولة يا أريان، أليس كذلك؟!

تراكمت في صدره دهشة غريبة؛ كيف يعرف الصوت أسراره قبل أن ينطق؟ لكن الردّ لم يترك مجالًا للتعجب؛ كأنّ العالم الآخر هنا لا يكتفي بالاستجابة، بل يقرأ ما لم يُقَل. على الفور، أمر الصوت العدسات بما أراد .. و في لحظةٍ، تبدّل المحيط من حوله قبل أن يرتد إليه الطرف ، كما لو أن نفسه قد انتقلت عبر بوابات زمنية. وجد نفسه على جليدٍ شاسعٍ أبيض يتوهّج تحت ضوء شمس شاحبة، والهواء يلسع وجهه بقسوةٍ. فرو كثيف يلتف حول جسده يقيه قليلاً

من البرد الذي لم يكن مفهومًا مجردًا ، بل حضور له لسان و لمسة : رقاقات هواء تخترق الأقمشة، صقيع يرسم خيوطًا على شفته، وذاكرة عظمية تصرخ بالبرودة.

أمامه، امتد موكبٌ من بطاريق الإمبراطور يمشي بوقار عتيق؛ بعضها يجلس على بيضه، رؤوس صغيرة تطل من بين ريشٍ كثيف، وبعضها يقفز برشاقة إلى الماء، سوداء وبيضاء تشرئب وتغوص وكأنها تعزف سيمفونيةً للحياة. الصوت الخفيض لأقدامها على الجليد، صفير الريح المتقطع، ورائحة البحر البعيدة، كلها أتت في آنٍ واحد؛ كان كل ذلك حقيقيًا و لا يخضع لتفسير منطقيٍ..

ابتسم بذهول و سعادة .. فحلم الطفولة تحقق بأغرب سيناريو ممكن !!

نزع كفه و مد يده ليلمس الأرض الجليدية. البرودة اخترقت جلده، لكن اللمس كان حقيقيًا ، قساوة الجليد تحت راحة يده، لامعة ومخدرة في آن. حرّك قدميه فوجد حركاته حرة كما لم يشعر من قبل ، لم يكن الجسد الجديد عبئًا، بل أداة حية تمنحه قدرةً على أن يكون في مكانين : على الأرض وفي الفضاء اللامحدود للخيال. انه

يشعر و كأنه يعيش على كوكب الارض مجدداً .. بل إن دموعاً تجمعت عند حواشي عينيه، ليست دموعاً من أثر الرياح فحسب، بل دموع عجبٍ من قدرة قلبه على البكاء في واقع افتراضي أمام منظرٍ لم يتخيله يوماً.

فجأة، وبطريقةٍ لا تسمح للعقل بترتيب اعتراض، صدمه سؤالٌ داخلي : كيف يقنع عقله بأن هذا كلّه ليس حقيقيًا؟ الريح تعوي في أذنه، منظر الماء يتلاطم أمامه، وطعم الملح يلعق شفتيه، كيف له أن يقنع ذاته أن كل هذا ليس سوى محاكاة متقنة؟ قبل أن يجد جوابًا، عاد الصوت الأنثوي يرنّ مجددًا كمن يقرأ أفكاره قبل أن تتبلور :

= لا يمكن الجزم بين الواقع والخيال هنا ، فالعلم قد بلغ أقصى درجاته، و لهذا دعي العالم الاخر جنة ، لأنه يدفعك الى الجنون من هول التطور ، السعادة و المتعة التي يمكنك ان تحظى بها ..

= محقة تماماً ، لكن كيف تقرأين أفكاري ؟

ضحكت بحنو :

= أنا أوجدتك يا أريان فكيف لا أعرف عنك كل شيء ؟!

= أوجدتني ؟!

= بالفعل .. سنتحدث عن ذلك أكثر بعد قليل .. لكن يدك التي نزعت عنها القفاز بدأت تصاب بقضمة الصقيع و ستتألم بشدة لاحقاً ، لذا علينا أن نعود الى المقصورة ، فما رأيته الآن يكفي لتفهم كيف تسير الأمور هنا في العالم الآخر .. و ما ستؤول إليه الأمور هناك على كوكب الأرض في نهاية الزمان مع تطور الذكاء الاصطناعي و الواقع الافتراضي ..

بالفعل كان البرد قد بدأ يثقل في أوردته ، و شعورٌ كطعنة خنجر يسكن عظام يده.

= حسنا فلنعد ..

و بغمضة عين أخرى تبخّر المشهد من حوله ، كأنما أحدًا يغلق كتابًا كبيرًا و شيقاً بنهاية فصلٍ أخير. عاد إلى مكانه الأصلي في المقصورة الزجاجية، لكن عودته لم تكن عودةً إلى ما كان قبلها؛ كانت محمّلةً بصدى الريح و الموج ، بلسعة الصقيع وبصوت البطاريق البعيد. نظر حوله وقد علت ملامحه دهشةٌ لا تخفى :

= هذا... هذا مذهل .. بل أكثر بكثير من الذهول ..

خرجت الكلمات منه كهمس طفل عرف باباً سرياً لمسرح متعة لا تنتهي ..

ضحكت مجدداً، ضحكةٌ فيها اعتراف بالسرّ وبقوته، وقالت بلطفٍ لا يخلو من الثقة :

= وهذا لم يكن سوى تجربة بسيطة للغاية. العدسات هنا تعمل وفق ذكاء صناعي متطور بشدة؛ قادرة على توليد قصص كاملة معقدة لتعيشها بحذافيرها : ألغاز، مغامرات ، معارك ، استكشاف، استرخاء، حل جرائم، رحلات فضائية، غوصٌ في أعماق المحيطات ... و كل ما يخطر ببالك و ما لم يخطر . ليست مجرد مشاهد، بل سردٌ حيّ يولد تفاصيله أمامك، قابلاً للتعديل حتى أصغر ذرة كما رأيت بأم العين .. بل أكثر من ذلك .. وجود البشر أنفسهم على كوكب الأرض هو إحدى هذه التجارب .. مجرد واقع افتراضي يعيشونه بدقة لا متناهية تجعلهم يفقدون التمييز بين الواقع و الخيال ..

= نظرية أفلاطون عن الوهم !!

= أحسنت ، و أنت محظوظ أن خرجت من الغرفة المغلقة و كشف عنك الحجاب لترى الحقيقة كما هي ليزول وهم أفلاطون من عقلك

= و أعتقد أن أجمل ما في هذه العوالم الافتراضية أن حواسنا تعمل كلّها بكفاءة : نأكل، نشرب، نسبح، وكما جربت بنفسي نشعر بالألم و بكل شيء آخر ..

= تماما لكنه ألم وهمي و غير مؤذٍ ؛ إذ يبقى جسدك الأساسي سالماً متى غادرت التجربة. في الحقيقة يمكنك اختيار بياناتك بدقة هائلة لا حدود لها ، حتى لون زرّ قميصك تصبح خيارًا .. بل ما هو أدق من ذلك بكثير ..

ابتسم أريان، ابتسامة تختلط فيها رهبة الطفولة بنشوة الباحث عن معنى، وقال :

= إنها... إنها جنة باعثة على الجنون حرفيًا !!

= و ما خفي كان أعظم ، فكما وصفت جنان الله في الكتب السماوية بمصطلح (العالم الآخر) ، نحن نتحدث عن عالم مشابه للعالم الدنيوي في كثير من الجوانب ، أما أهم ميزات الكون الأكبر الذي تعيش فيه الآن عن الكون الأصغر الذي كنت تعيش فيه فهي التالي : **غياب المشاعر السلبية** التي يعاني منها البشر في الكون الأصغر ، فهنا لا وجود للألم أو الحزن أو الحقد أو الحسد أو التعب أو المسؤوليات التي أثقلت كاهلك منذ نعومة أظفارك أو غيرها ..
و أيضاً **لا معنى للزمن** هنا ، بل أوقات مستمرة من المتعة لا تتوقف بنوم أو تنتهي بموت ، بلا ماضٍ أو حاضر أو مستقبل أو ساعة أو توقيت .. فكل هذه مصطلحات دنيوية خاصة بالكون الأصغر فقط ..

و كما رأيت بأم العين ، **متعة لا تنتهي** تجعل المتع الدنيوية من أوقات سعيدة و طعام و شراب و جنس بل حتى ما يتوهمه البعض متعة (المخدرات) و غيرها مجرد مقبلات بسيطة للغاية قبل الطبق الرئيسي ..

و بالطبع يوجد هنا **عدد هائل من الأكوان الموازية** بحيث يكون كل إنسان عاش على هذه الأرض هو ملك كونه الخاص المصمم وفق ميوله و رغباته و شخصيته الأرضية .. و تتشابك هذه الأكوان على نحو مدهش يفجر العقل حرفياً ..

و كما جربت بنفسك منذ قليل ، يوجد هنا **عدد غير منتهٍ من العوالم الافتراضية شديدة التطور** ، بحيث يمكن لكل إنسان أن يعيش في أي جسد يريده في أي بيئة يختارها و يعيش أي قصة أو مغامرة يتخيلها كل ما عليه هو اختيار البيانات الصحيحة ..

بل يمكن لكل إنسان أن **يرى حياته التي عاشها على الأرض بتفاصيلها كلها بتجسيم ثلاثي الأبعاد** و كأنه يعيش مع نسخته السابقة تماماً منذ كان نطفة و بويضة يلتقيان حتى وفاته .. و تخيل معي بنيّ كم هذا رائع و مذهل .. أن ترى نفسك جنيناً ثم رضيعاً ثم طفلاً ثم شاباً و هكذا .. و تتذكر أحداث تلاشت من ذاكرتك ..

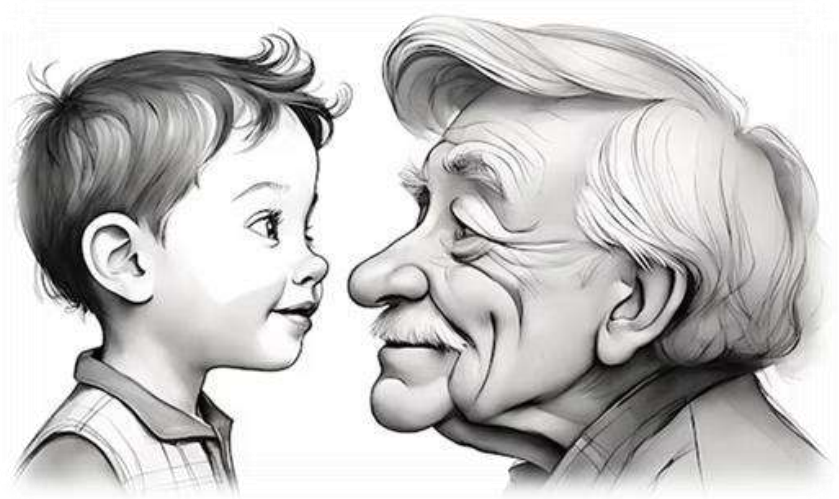

و هنا **يعرف كل إنسان نوايا الآخرين تجاهه في الحياة الدنيا** ، من ضحى من أجله دون أن يعرف و من خانه و تآمر عليه من وراء ظهره ..

كما يعرف الإنسان **تأثير أفعاله الأرضية على الآخرين** عبر الأزمنة الثلاثة و هذه الميزة مذهلة لدرجة تفوق الوصف ، حيث

سيصدم كل إنسان بالتأثير المرعب لكيانه على الآخرين و على الكون الأصغر ، في حين كان يحسب نفسه قليل الأهمية و ربما بلا فائدة أو تأثير يذكر ، لكنه سيكتشف أن لي نظرة أخرى له فأنا لم أوجده جزافاً بلا أدنى شك !!

و سيتمكن الإنسان من **رؤية أحبائه في فترات عمرية لم يشهدها** ، كوالديه عندما كانوا أطفالاً أو أحفاده عندما أصبحوا عجائز و هكذا

و سيحظى **بالفهم الكامل لقصة الحياة الدنيوية** ، كيف بدأت و تطورت و انتهت ، السبب الكامن خلف خلق البشر فيها ، و

الآليات المتنوعة لإدارتها ، و الدروس المختلفة البليغة و النبيلة

لبناء الإنسان الحقيقي فيها ..

و بالطبع **التعرف عليّ أنا ، شجرة السماء أو الروح القدس** ، على قصتي الملحمية الطويلة في بناء ذاتي و التي انتهت باكتشافي للكون الأكبر و لكل شيء ثم تصميمي للكون الأصغر و للبشر فيه

و القائمة تتسع و تطول من مزايا العالم الآخر .. لكن الأكيد أنه كما قلنا منذ قليل **فاسم الجنة لم يشتق من الجنون عن عبث** ، بل لأنها ستفقدك عقلك من هول جمالها و تطورها و متعتها

ساد صمت للحظات و كأن الصوت الأنثوي يمنح أريان فرصة لاستيعاب هذا الكم الهائل من العظمة و الغرابة و التطور ، ثم عاد لينساب كساقية موسيقية ..

= سأمنحك الآن يا بني فرصة مثيرة بلا شك ، بإمكانك أن تختار أن تلتقي بأي شخصية تريد من متحف التاريخ، وجهاً لوجه، تراها وتحادثها وتلمس حضورها. فأي منها تودّ أن تقابل؟

لم يتردّد أريان، خرج الاسم منه كما لو أنه محفور في وعيه منذ الطفولة :

= قدوتي و معلمي و ابن بلدي .. **المهاتما غاندي**.

لم تتأخر الاستجابة ، في لحظة، تبدّل المحيط من حوله. انمحَت جدران المقصورة الزجاجية كضباب، وإذا به يجد نفسه واقفاً على ضفة نهر الغانج، مياهه تنساب ببطءٍ أبدي، تتلألأ تحت شمس ذهبية هادئة. نسيم دافئ يحمل بخوراً وروائح أزهارٍ طافية، وأصوات تراتيل بعيدة تتماوج مع الماء. وعلى مقربة منه، وقف رجل نحيل بثياب قطنية بيضاء، عصاه في يده، نظراته مشبعة بطمأنينة لا تهتز. كان هو... المهاتما.

اقترب غاندي بخطواتٍ واثقة هادئة، كأن الأرض تفسح له الطريق احتراماً. ابتسم تلك الابتسامة التي لا تحمل سوى نقاء، ثم مدّ يده وربت على كتف أريان برفقٍ أبوي. قال بصوتٍ عميق، مهيب، يقطر صدقاً :

= السماء لم تكن تكذب يا بني ... الله حقيقة ... الجنة حقيقة ... الحب حقيقة .... والسلام... ممكن، أبسط مما تظن، لكنه يحتاج إلى قلوب مؤمنة و شجاعة ..

شعر أريان بقشعريرة تسري في كيانه السماوي، كأن كل كلمة انغرست في أعماق روحه لا في أذنه. حدّق في وجه غاندي، فوجد فيه كل المعاني التي بحث عنها في حياته : التواضع، الصبر، الإيمان بأن السلام ليس حلماً بل خياراً و طريقاً. لحظتها أدرك أن لقاءً كهذا لم يكن تجربة افتراضية فقط، بل مكاشفة روحية؛ كأن العالم الآخر أهداه فرصة ليختبر حقيقة ما كان يقرأه في الكتب : أنّ الأرواح العظيمة لا تموت، بل تستمر في بثّ نورها في كل زمان ومكان .. قضى معه دقائق ثمينة كحلم آخر يتحقق ، عبر معجزات في عيون البشر لكنها تبدو في عين السماء أبسط من كن فيكون ، ثم احتضنه المهاتما و ودعه ليتلاشى المحيط و يعود الى المقصورة مجدداً ..

****

الكون الأكبر و الكون الأصغر ..

جلس أريان في مقصورته الزجاجية، مبهوراً بما رآه من عوالم وتجارب، لكن عقله لم يهدأ، كانت الأسئلة تتوالى في داخله كما لو أن روح الباحث فيه لم تمت مع جسده الأرضي. وفجأة خرج السؤال الذي كان يتأجج في صدره منذ أن وطأت قدماه هذا العالم الجديد :

= لكن سيدتي... أين يقع هذا العالم الآخر؟ بل بالأحرى ، أين يوجد كوننا نحن، ذلك الذي عشت فيه ثمانيةً وعشرين عاماً؟

حلّ الصمت لحظة، ثم جاءه الصوت الأنثوي، هادئاً، عميقاً، لكنه

هذه المرة محمّل بما يشبه الابتسام الخفي، كمن يوشك أن يزيح ستاراً عن سرّ عظيم :

= يا بني، الكون الذي يحتوي البشر موجود هنا، في قلب العالم الآخر ذاته. في الحقيقة، إن الكون الأصغر يتوسع الآن داخل كرة زجاجية، لا يزيد حجمها عن تلك الكرة بجوارك التي تسمعني من خلالها ..

ارتجّ كيانه كما لو أصابته صاعقة إله إغريقي .. جحظت عيناه، وخرجت الكلمات من فمه متقطعة :

= هذا... هذا مستحيل !! كيف يمكن لكونٍ عملاق، ممتد المجرات والنجوم، أن يُختصر في كرة صغيرة كهذه ؟

ضحكت ضحكة قصيرة رقيقة، ثم سألت سؤال العارف بنبرة مَن يلقّن درساً لتلميذ مجتهد :

= قل لي يا بني، هل سبق لك أن نظرت في شريحة زجاجية تحت المجهر؟

ارتسمت على ذهن أريان صور قاعات التشريح في كلية الطب، ورائحة الكحول والمحاليل المثبتة، فأجاب بثقةٍ سريعة :

= بالطبع. لقد درست من خلالها أنسجة وأحياء دقيقة، بكتيريا و فطور وفيروسات ... كلها كانت تعيش وتتحرك داخل شريحة صغيرة لا يتجاوز حجمها بضعة سنتيمترات.

= و كيف لم تتعجب إذن من وجود كل هذه الحياة غير المرئية في حدود شريحة زجاجية صغيرة ؟! ما الحجم بالأساس يا بني ؟ إنه مجرد مفهوم نسبي وضعه الإنسان ، فالجراثيم و الفيروسات كائنات مجهرية و صغيرة في عينه ، و الكون عملاق من وجهة نظره كجملة مقارنة لا تخلو من الغرور ، أما بالنسبة لي فالكون بكليته عبارة عن شريحة تحت مجهر البحث يحتوي كائنات دقيقة

هي البشر !!

صمت أريان و قد شلته الدهشة من منطقية الجملة الأخيرة على بساطتها ..

= أظنك محقة .. الأمر يعتمد على جملة المقارنة بالمحصلة ..

= تماما اذن لدينا كون أصغر يتوسع في حيز صغير من الكون الأكبر الذي هو هذا العالم الآخر الرحب ..

شعر أريان حينها أن عقله ينفتح كبابٍ على فراغٍ لا نهائي، وأن المعاني التي تربّى عليها في الأرض لم تعد قادرة على حمل هذا الاتساع. لأول مرة في حياته لم يشعر أن السؤال نهاية، بل بداية. لقد فهم أن الموت لم يكن سقوطاً في العدم، بل عبوراً إلى طبقةٍ أعمق من الوجود، حيث تُعاد صياغة المفاهيم : الكبير يصبح صغيراً، والصغير قد يحتضن عالماً كاملاً .. لكن وراء هذا السؤال الجوهري كان هنالك السؤال الأهم من كل ما سبق و الذي لم يتأخر على لسان أريان :

= إننا نتحدث منذ ساعتين سيدتي ، لكنك لم تخبريني من أنتِ ؟ هل أنت الله .. هل الله أنثى كإلهة الهندوس **شاكتي** ؟

= لا لست الله .. الله ليس أنثى .. و ليس ذكر على حد سواء ..أنا مكتشف الكون الأكبر و مصمم الكون الأصغر ..على كل حال هذا السؤال لا يمكنني التصريح به الآن ، بل يبقى سراً من أسرار الحياة و الكون الأكبر لن يتجلى إلا بعد انتهاء الحياة و استيقاظ كل الأجساد السماوية .. لكن يمكنك الاستدلال على ماهيتي بالاستئناس بأسطورة **حي بن يقظان** الشهيرة على الأرض ، التي أوحيت لمبتدعها أن يخرجها للنور و ضمنتها أسطورتي الشخصية ، أعلم أنك تجهلها ، لكن إن قدر لك أن تعود مجدداً إلى الأرض فيمكنك البحث عنها أكثر علك تصل إلى حقيقتي بنيّ ..

= أعود مجدداً !! بالتناسخ تقصدين ؟

= لا تعجزني الحلول فلا تقلق .. عندما نتفق على مصيرك نقرر الآليات القادمة ..

= و متى ستنتهي الحياة و تستيقظ الأجساد السماوية ؟ هل يحق لي أن أسأل ؟

= بالطبع ، و يحق لك أن تعرف أيضاً .. هنالك آية في القرآن أفضلها بنفسي على البقية لأنها السر الإلهي الوحيد الذي يمكن للبشر أنفسهم الوصول إليه و تقول : (*إن الساعة آتية أكاد أخفيها*) و كلمة **أكاد** واضحة و تعني أن بإمكان الإنسان المجتهد أن يحدد موعد رنين الساعة و استيقاظ الأجساد السماوية ..

ابتسم أريان ..

= و هل يمكنك منحي تلميحاً .. ؟!

= حسناً ، لنقل أن سر تحديد موعد نهاية الحياة يكمن في الرياضيات ..

= الرياضيات !!

= أجل ، لا شك أنك سمعت **بالنسبة الذهبية فاي** ..

= بالطبع ، **النسبة الإلهية** .. حيثما حلت حل الكمال و المثالية ..

= ليس ذلك فحسب ، بل الكونان الأكبر و الأصغر مصممان بالكامل وفقها ، من أصغر الذرات حتى أكبر المجرات .. تجدها في عالم النبات و الحيوان .. في الجسد البشري .. و في المعمار و الحضارات .. و أيضاً في تحديد موعد قيام الساعة و نهاية الحياة على حد سواء.. و عندما أطلق عليها العلماء لقب نسبة الإله فقد كانوا محقين لأبعد الحدود ..

= و كيف تفيد في ذلك ؟

= هذا يعتمد على بحثك و اجتهادك ، و لكنني سأعطيك تلميحاً بسيطاً آخر يساعدك ..

= لو تفضلتي عليّ .. فهذا موضوع استثنائي بالنسبة لي كإنسان ..

= اجعل ميلاد السيد المسيح – كما هو في الحقيقة – التاريخ الأهم في الحياة البشرية و نقطة فاصلة بين ما قبله و ما بعده .. عندها ستحل النسبة الذهبية كل شيء ..

قوس حاجبيه بدهشة ..

= كلام غريب جداً ..

= عندما تفكر ستجده أبسط بكثير مما تعتقد .. فكل الأشياء تبدو هينة بعد حلها و كشف النقاب عنها .. لذا أعيش وراء حجاب يفصلني عن البشر كي لا أفقد البريق و الهيبة .. و هذا ليس حفاظاً على قيمتي و مكانتي فهي محفوظة .. بل حفاظاً على البشر .. فعندما يفقدون المرشد سيتوهون إلى الأبد ..و الآن ؟

= الآن ماذا ؟

= لقد وصلت إلى مكان لم يصله بشر عادي من قبل ثم عاد منه ، و رأيت ما لم يره بشري من قبل .. فهل ترغب بالبقاء هنا إلى الأبد ، أم العودة إلى كوكب الأرض حيث ينتظرك جسدك الأرضي

المدفون تحت التراب في قريتك بجوار شجرة الأراك المفضلة لديك و التي أنبتها من أجلك توطئة للقائنا هذا بعد سنوات ..

= أوجدتها من أجلي !! لماذا ؟!

= بالطبع ، فأنا شجرة السماء ، الزيتونة اللاشرقية و اللاغربية ، و كل شجرة على الأرض تمثلني ..

= و لكن كيف أعود و قد مت و دفنت .. إنني الآن على الأرجح مرتع للحشرات و الديدان ..

= و هل هذا عسير على من اكتشف الكون الأكبر و صمم الكون الأصغر ..

أجاب بخجل :

= بالطبع لا .. لكنه عسير الفهم على عقلي المتواضع .. !!

= لا تخشَ شيئاً .. بادئ ذي بدء عليك أن تقرر .. بعدها لكل حادث حديث ..

صمت أريان طويلاً، غاص في لجّة فكره، دار عقله بين منطق البقاء حيث النعيم الذي لا يوصف، والرحيل حيث الألم المعتاد . غير أنّ الجواب لم يأت من العقل، بل من قلبٍ فاض بالحنين؛ لقد سمع في داخله صوت بكاءٍ مألوف، صوت **إيشا**، محبوبته التي وعدها بالزفاف، وعدها أن يكملا رحلة العمر معاً. سمعها تصرخ من جوار قبره : (*أين ذهبت؟ لقد وعدتني ألا نفترق !!*) ، فاشتعل قلبه بشوقٍ لا يطفئه عالم آخر على رحابته .. فما النعيم بلا حب و ما المتعة بلا وفاء ..

همس لنفسه :

= إن كان لي أن أوفي بوعدٍ واحد في حياتي، فسيكون وعدي لها.

ابتسم الصوت الأنثوي برفقٍ و إعجاب مدرك مسبقاً :

= أفهم قرارك يا بني ، فلا شيء يوئنس وحشتي في هذا الكون الرحب سوى الحب و البقاء على قيد الأمل و الحنين .. عد إذن .. قم بوصل اللصاقات بجسدك ثانية، و تمدد على السرير، ثم اغمض عينيك .. فما سيحدث الآن لا يقل غرابة عما مضى ..

زهرة أبو وردة

(أقراص دروبا)

أمريكا اللاتينية / البيرو / ليما ..

عام 2077 م ..

في أعالي جبال الأنديز، حيث يلتقي الغيم بالأفق وتنحني الأشعة الذهبية للشمس نحو أفئدة الأرض، تقبع مدينة غارقة في الغموض، منسوجة بين الصخور والسحاب، تُدعى **ماتشو بيتشو**. هي ليست مجرد مدينة مفقودة، بل أقرب إلى نبض الأرض وروحها الأبدية. لا يكاد يمر زائر بها إلا ويحمل معه حسًا غريبًا، كأن روحه قد خُطفت، ليس في الزمن الذي يعيشه، بل في زمان آخر بعيد يختبئ بين أرجاء هذه الحجارة العتيقة.

هذه المدينة المقدسة كانت في يومٍ من الأيام، مركزًا للحكمة، **مركزًا للتواصل بين الإنسان والعالم الآخر، بين الأرض والسماء، بين الروح والجسد**. **الإنكا**، هؤلاء الذين عشقوا الشمس، كانوا يعلمون

أن الحياة لا تُقاس بالزمن البشري فحسب، بل بالأرواح التي تسكن في المكان، وبالعلاقة الغامضة التي تنسجها النجوم والأجرام السماوية. كانوا يعتقدون أن كل جبل، كل حجر، وكل نهر يحمل روحًا، يرافقها سر عميق يشكل نسغ الحياة.

و بينما كان علماء الآثار والحُجاج يأتون إلى ماتشو بيتشو بحثًا عن آثار مفقودة، كان السكان الأصليون من شعوب الأنديز يظلون يرددون في صمت : *(عملكم هباء .. الذين لا يؤمنون بالأرواح لا يقدرون على رؤية ما وراء الجبال و الحجارة)* .. كان المكان، في أعينهم، حدودًا بين العوالم، ليس فقط جغرافيًا بل أيضًا روحانيًا. كانوا يرون في الجبال آلهة، وفي الرياح أصوات أسلافهم، وفي السماء نفسها روحًا حية، تتنفس و تظلل الأرض بقدرة غير قابلة للتفسير.

معبد الشمس في ماتشو بيتشو هو المركز الروحي للمدينة. جدرانه تنبض بالطاقة الغامضة التي تلخص مزيجًا من الفلسفة والأدب الروحي للإنكا .. عند شروق الشمس ، تمر أشعة الصباح عبر نافذة المعبد، كأنها رسالة جديدة من الآلهة، تنساب على أرضيته المرصوفة بالحجارة فتغسل الأرواح التي كانت تتجمع لتقديم القرابين. فالإنكا كانوا يعتقدون أن الشمس تجسد الإله الأعلى للكون، وأنها تقيم صلة مباشرة بين البشر والأرواح التي تسكن في السماء.

لكن مع مرور الوقت، بدأ البشر ينسون هذا الرابط الروحي. جاء الغزاة الإسبان ، دمرت الحروب، وتبدلت العصور، لكن ماتشو بيتشو ظلت صامتة، محتفظة بأسرارها، لا تكشفها إلا للقلوب النقية التي تفتح أبوابها للروحانيات. فكل حجر هناك يروي قصة، وكل زاوية تعكس رمزية أعماق الكون. و المكان ككل أشبه بمسرح للأرواح التي ترتحل بين السماء والأرض، وكان الصمت

الذي يعم المكان يعبر عن حالة من الانتظار الأبدى، انتظارًا لعودة المخلص أو الفهم الكامل للمعنى الحقيقي للحياة والموت.

طريق الإنكا، ذلك الممر المقدس الذي كان يقود الحجاج إلى المدينة المفقودة الغامضة ماتشو بيتشو ، هو بمثابة رحلة روحانية قبل أن تكون رحلة بشرية. فالخطوات التي يخطوها الزوار على الأرض المقدسة ليست مجرد خطوات مادية بل أقرب إلى أدوات تواصل مع العوالم الأخرى، هي بمثابة خطوة نحو الحقيقة الأعمق التي لا يمكن اكتشافها إلا من خلال فهم الروحانيات التي تحيط بهذا المكان. فالطريق لا يمر فقط عبر الجبال، بل يعبر من خلال الطبقات اللامرئية التي تربط بين الإنسان والآلهة .. السياح أو الحجاج يأتون ليبحثوا عن شيء في الماضي، لكنهم في الحقيقة دون أن يدركوا ، يبحثون عن شيء في أعماقهم، شيءٍ يربطهم بعالم الروح و يمنح لحياتهم على الأرض معنى أبعد من تراب منثور و فناء أبدي ..

إذن ، ماتشو بيتشو أكثر من مجرد مدينة آثار. هي قلب حيّ ينبض على قمم الجبال انتزع من باطن الأرض و قدم كقربان للسماء على تقاليد الإنكا، يظل مشرقًا بحضور الأرواح، ويرتبط بالكون في حركة غير مرئية. و حتى يومنا هذا ، يظل هذا المكان خزينة للأسرار الروحية التي لا تقدر الأيدي على لمسها أو العقول على فهمها بالكامل .. **إنها ليست مجرد حجارة وأبنية، بل هي الروح التي اختبأت هناك، تنتظر أن يفهمها العالم.**

في مكانٍ آخر من البيرو ، في قلب صحراء جافة لا تعرف المطر إلا لمامًا، تمتد **خطوط نازكا** العملاقة كأنها وشم على جسد الأرض، رسائل من أرواح مجهولة حفرتها أيادٍ لم تطلب مجدًا أرضيًا، بل أرادت أن ترفع البصر إلى السماء. هناك، بين الطائر الطنان والكندور والعنكبوت تتجلى الروح وهي تتقن لغة الرمز، كأنها

تقول :

(الوجود ليس ما تراه العيون، بل ما يُقرأ في صمت الأفق حين تتحول الأرض إلى كتاب)

خطوط نازكا لم تُرسم كي يراها الإنسان من الأرض، بل لتُشاهد من علو، من عين الروح، من منظور الطائر الذي يراقب من السماوات. إنها حوار بين الأرض وأبناء الشمس، بوابة غير مرئية بين الجسد الثقيل والروح الخفيفة، حيث تتحرر الكائنات من حدودها وتعود إلى جوهرها الطليق.

ثم... بعد أن تترك الروح أثرها على الأرض، تبدأ رحلتها إلى الأعلى. هنا يظهر الرابط الخفي بين خطوط نازكا و ماتشو بيتشو. فالمدينة المعلّقة بين الجبال ليست مجرد حجارة مرصوفة، بل تجسيد لارتقاء الروح نفسها. و إذا كانت نازكا هي الروح وهي تكتب رسائلها على الأرض، فإن ماتشو بيتشو هي الروح وقد وجدت طريقها إلى الأعالي لتقطن السماء في قمم الجبال، حيث تتحول تلالها إلى معابد، و دروبها إلى صلاة، والغيوم إلى ستائر تفصل بين عالمين.

هكذا، يصبح المسار واضحًا ، في صحراء **نازكا** ، الروح تُرسم على الأرض، تتعلّم اللغة الأولى للكون. أما في **ماتشو بيتشو** ، فالروح تتسلق الجبال، وتجلس على عرش الغيوم، شاهدةً على خلودها.

كأن حضارة الأنديز أرادت أن تقول :*(الروح لا تنتمي لمكان واحد. إنها تسافر بين الأرض والسماء، بين الخطوط المنبسطة والقمم العالية، بين الصحراء الجرداء والجبال المزهرة. الروح تكتب، ثم ترتقي. تترك أثرها على الرمل، ثم تبني هيكلها في السحاب.. تودع الجسد الأرضي لتستقر في جسد سماوي)*

****

في قلب العاصمة البيروفية **ليما**، حيث تختلط الحداثة بضجيجها مع أنفاس التاريخ القديم العبقة ، يقيم رجل يوشك أن يكون من نسيج الأساطير. اسمه **نايرا تشاسكا**، ابن **49** ربيعاً، ملامحه تعود للسكان الأصليين من الهنود الحمر ، مشدودة بخطوط الزمن كأنها نقوش حجرية من معابد الإنكا، وعيناه بنيتان فيهما بريقٌ غامض يشبه وهج المجرّات البعيدة. إذا لمحته في الشارع ستقسم أنه قادم من زمن آخر، من قبيلة قديمة عاشت ألف حكاية مع الجبال والأنهار والسماء الملبدة بالأسرار.

بيته لا يشبه بيوت المدينة، بل يبدو كأن الأرض نفسها أنجبته. منزل خشبي تحيطه الطبيعة من الجهات الأربع، تتسلق جدرانه نباتات مزهرة تنشر ألوانها الفاتنة مثل وشاح حيّ يلف المكان. الطيور الصغيرة تعشش في الشرفات، والرياح تتغلغل بين الأغصان فتغدو النوافذ مزامير تعزف لحنًا غير مكتمل. كلما جلست هناك، تشعر أن البيت مسكون بروح الإنكا، وأنه يختزن في أخشابه حكايات عن ملوكٍ ضاعوا وكنوزٍ خبأتها الأرض ولم

تفصح عنها.

لكن نايرا لا يكتفي بسماع همسات الماضي؛ هو باحث في علوم الفلك، يعمل في مرصد حديث العهد، مشيّد فوق تلة تطل على الغابة الشهيرة المحاذية للعاصمة ليما. حين يصعد إلى هناك، يحمل معه ذاكرة أجداده الذين برعوا في علوم الفلك و كانوا يقرأون في حركات النجوم دلائل على المصير بل إنهم حددوا تاريخ نهاية العالم على أساسها .. يجلس أمام التلسكوب اللامع، عينيه معلقتان بالفضاء الرحب، كأنهما مرآتان واسعتان تحاولان استيعاب لغزٍ أكبر من كل ما نعرف. يرصد الشمس في إشراقها، القمر في دوراته، الكواكب في تنقلاتها الصامتة، والمذنبات حين تمرّ كشراراتٍ هاربة من نارٍ كونية.

منذ طفولته البعيدة، والفضاء خطف قلبه. لم يكن ينام إلا بعد أن يملأ عينيه بالنجوم، يسأل نفسه: **من يسكن هناك؟ هل نحن وحدنا في هذا الامتداد الذي لا ينتهي؟** كان يسرّ لأمه، وهو ما يزال صبيًا، بأن هناك عيونًا أخرى تراقبنا من وراء الكواكب، وأن

حضارات مجهولة ربما تسكن بين المجرات كما تسكن الطيور بين أغصان الغابة. كان ينظر إلى المريخ كما لو أنه جاره الغامض، وإلى زحل كأنه قلعة مطوّقة بأسوار من الضوء.

كبر نايرا، لكن خياله لم يهرم. ظل سؤال الكائنات الفضائية يستحوذ عليه، لا كفكرة عابرة، بل كهاجس حيّ، كنبضٍ يتدفق في عروقه. وحين جلس أخيرًا خلف أجهزة الرصد في المرصد الفلكي، شعر أنه يقترب خطوة من تلك الحقيقة المخبأة وراء السدم. كلما رصد نقطة ضوء بعيدة، تخيلها موطنًا محتملًا لحياة أخرى، وربما لعينين تترصدانه كما يترصد هو الكون.

لياليه طويلة، تمتد حتى الفجر. يجلس وحيدًا في القبة المعدنية للمرصد، تحيط به الشاشات والعدسات، وترافقه موسيقى الليل : صدى الغابة، نقيق الضفادع، صراصير الليل و صمت النجوم. وفي كل ليلة، كأنه يكتب فصلاً جديدًا من ملحمة لم تنتهِ بعد؛ ملحمة الإنسان في مواجهة المجهول. هو عالمٌ، نعم، يتسلح بالمعادلات والبيانات، لكن في داخله ما زال الطفل الحالم الذي يرفع رأسه

للسماء، يترقب إشارة، أو ومضة، أو همسًا كونيًا يؤكد له أن الوحدة ليست قدرنا، وأن الكون عامر بأصدقاء لم نرهم بعد.

و في ذات يوم و بينما كان الليل يلفظ أنفاسه الأخيرة ، غادر نايرا مرصده الفلكي، منهك الجسد لكنه متقد الروح. جلس خلف مقود سيارته الصغيرة، وشق طريقه الملتف بين أشجار الغابة، حيث العتمة تتخللها أضواء قمرٍ متردد ينساب عبر الأغصان. كانت الغابة تبدو كأنها تنصت لأنفاسه، تصغي لصوت محركه وهو يمزق الصمت قطعة قطعة.

وفجأة، اخترق السماء ضوءٌ مشعّ لم يرَ مثله من قبل. لم يكن كنجمةٍ أو مذنبٍ اعتاد رصده، بل وهجًا متفجّرًا، يتوهج ويقترب، حتى بدا أن السماء نفسها تُفتح ليمرّ منها. حدّق مأخوذًا، قلبه يتأرجح بين الذهول والرهبة، حتى رأى الضوء يهبط برفق، كأن يدًا خفية تهبط به نحو مساحة خضراء منبسطة بين الأشجار. هناك استقر، كجسم دائري معدني يسطع بلمعانٍ فضّي : **طبق طائر** خرج من الأساطير إلى واقعه البصري ..!!

تسارعت أنفاس نايرا، فاض قلبه بخوفٍ لم يعرفه من قبل، ممزوجاً بفرحٍ غريب. ها هو حلم طفولته، السؤال الذي ظل يطارده منذ الصغر، يتجسد أمامه. أهو على وشك أن يحسم الجدل الأبدي : **هل نحن وحدنا في هذا الكون؟ أم أن الآخرين كانوا يراقبوننا منذ زمن؟** انه سؤال العالم الكبير **انريكو فيرمي** مع مفارقته الشهيرة التي حملت اسمه ..

أوقف سيارته على حافة الطريق، وغادرها بخطواتٍ مترددة. كان الليل ساكنًا إلى حد يثير الرعب، لا صوت سوى حفيف الريح بين الأشجار و أصوات أوارق الشجر تتفتت تحت نعليه .. كلما اقترب من الطبق، شعر بالبرد يسري في عروقه، لكن مع حماسةٍ عارمة تدفعه رغم تردده . وفجأة، انفتحت في جسم المركبة بوابة مستطيلة، وأبهر بصره نورٌ أبيض قوي، جعله يرفع ذراعه ليتقيه. وحين اعتادت عيناه على الوهج، لمح ثلاثة كائنات تقف على العتبة. أجسادها نحيلة، أطوالها متقاربة، وجوهها لا تحمل التفاصيل البشرية المعهودة، بل ملامح ملساء كأنها مصوغة من ضوء.

تدلّى سلم معدني، ونزلت الكائنات بخطواتٍ واثقة وهادئة، حتى صارت أمامه. لم يسمع منها صوتًا، لكن فجأة، انسكبت الكلمات في

ذهنه كما لو كانت أفكاره الخاصة .. تواصل بالتخاطر الذهني !!.
كان الصوت الداخلي غريبا، عميقا، يتردد في عقله :

= نحن **شعب باي**. أتينا من **كوكب باي** القابع في الجهة الأخرى من الكون.

ارتجف نايرا، بين مصدقٍ ومكذب. حاول أن يفتح فمه بالكلمات، لكنها لم تخرج. ثم تماسك أخيراً وسأل بصوتٍ متحشرج، وإن كان متأكدًا أنهم يسمعونه في داخله :

= و ماذا تريدون مني ؟!

= أن نجيبك على اسئلتك التي تنهش لا وعيك حياً ..

= لم أفهم !!

= سنمنحك فرصة من خمسة دقائق .. يمكنك أن تطرح علينا ما يسعفك الوقت من أسئلة ، فماذا تحب أن تسألنا ؟!

فكر ناريا قليلا ثم نطق بصوت مرتجف :

= لماذا لا تتواصلون مع البشر علنًا ؟ لماذا هذا التخفي وهذا الصمت الطويل و أنتم حقيقة كما يبدو !؟

ردّ الصوت في عقله، بصفاءٍ يشبه جرسًا بعيدًا :

= أنتم أعداء لبعضكم البعض ، تسفكون دماء بعضكم دون رحمة. كيف يمكننا أن نثق بجنسٍ يحارب ذاته، ونتوقع أن يحسن التعامل مع جنس غريب عنه ؟ .

شعر نايرا بصدمةٍ في صدره. كان الجواب كالطعنة، لكنه لم يستطع أن ينكر واقعيته المفرطة .. ثم تابعوا :

= على كل حال نحن لا نختفي كلياً كما لا نظهر بشكلٍ صريح ..

بل نظهر هنا و هناك بين الحين و الآخر كي تبقى أسطورتنا حية ، و لك في حوادث روزويل في **الولايات المتحدة الأمريكية** ، و مدرسة الأطفال في **زيمبابوي** و هيكل أتاكاما في **تشيلي** المجاورة لبلدكم شاهد على ذلك .. بل أكثر من ذلك ، لقد تركنا خلفنا آثاراً لنا تثبت وجودنا ، ابحث عن **قصة أقراص دروبا** ، و **قصة كهوف تاسيلي** فتتأكد من ذلك ..

دهش من هذا الكلام الغريب .. صمت لحظة، ثم عاد ليسأل :

= ولماذا أنتم متشابهون في أشكالكم هكذا؟ نحن البشر متفردون، لكل منا وجهه وصوته وهيئته. أما أنتم، فكأنكم نسخٌ مكررة، لا فرق بين فرد وآخر.

سرت في عقله إجابة مفاجئة و غامضة تحمل شيئًا من السمو :

= لقد خلقتنا الروح الأعظم على مبدأ الأجساد السماوية في الكون الأكبر. كما النجوم متشابهة في هيئتها، كذلك نحن. تمايزنا لا يقوم على الشكل، بل على عوالم نفتحها بفضل تقنياتنا. نحن نختلف حين ندخل فضاءات الواقع الافتراضي، الذي بلغ عندنا تطورًا مرعبًا يتيح لكل فرد أن يعيش ملايين الوجوه والألوان، دون أن نفقد اتحادنا في الحقيقة .. فبينما أنتم منشغلون في رصد الكون الأصغر، ننشغل نحن برصد الكون الأكبر و خفاياه ، فهناك كنا جميعاً في البدء ، و إلى هنالك سنعود ذات يوم ..

أحس نايرا برجفةٍ عميقة؛ كان كلامهم يفتح أبوابًا لم يتخيلها. نظر إلى تلك الكائنات الثلاثة، أحس أنهم يحملون في هدوئهم حكمة لا طائل لعقل بشري أن يبلغها.

= لقد انتهت المهلة الزمنية .. وداعاً صديقنا نايرا .. احتفظ بلقائنا لنفسك فالحقيقة **كزهرة أبوردة** عند أجدادك الانكا .. جمالها لا يمر

بلا ألم ..

ثم، كما جاءوا، بدأوا يستعدون للرحيل. ألقوا عليه نظرة أخيرة، كأنها وداعٌ أو وعدٌ بلقاءٍ آخر، ثم صعدوا السلم إلى داخل المركبة. أغلقت البوابة، وارتفع الطبق الطائر صامتًا، يبتعد في السماء حتى تلاشى، كما لو كان مجرد حلمٍ أو وهمٍ من أوهام الليل.

ظل نايرا واقفًا في مكانه، مذهولًا. لم يعرف إن كان قد عاش حقيقةً أم رؤيا أم مجرد هلوسة ، لكنه كان متيقنًا في أعماقه أن شيئًا جوهريًا قد انكشف له. عاد إلى سيارته بخطواتٍ مثقلة، وقفل عائدًا إلى منزله على تخوم ليما. في صدره سرّ أثقل من أن يحمله وحده، وأعمق من أن يبوح به بسهولة. تساءل : **هل يحتفظ به لنفسه، أم يصرخ به في وجه العالم؟**

في تلك الليلة، حين ألقى جسده المنهك على سريره الخشبي، ظل يحدّق في السقف، فيما روحه تحوم بعيدًا، إلى حيث لا يصل الخيال. لقد صار الآن حاملًا لسرٍّ لا يحتمله عقلٌ واحد، ومع ذلك، لم يكن في قلبه سوى شعورٍ متفشٍّ : **أنه لم يعد وحيدًا في هذا الكون.**

****

خلال الأيام التالية اعتكف نايرا في منزله .. قرر تقفي الشواهد التي ذكرتها له الكائنات الفضائية كي يتحقق من مصداقية كلامهم ، لقد سمع عن بعضها بالفعل من قبل لكنه يجهل التفاصيل ، و الشيطان دائماً ما يكمن في تلك التفاصيل ، و بذلك يمكنه تمييز الحقيقة من الادعاء .. بدأ من قصة **حادثة روزويل** فكانت المعلومات التي جمعها مفاجأة للغاية .. بل صادمة :

(في عام **1947** و بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعامين ،

سقط على مدينة **روزويل** - إحدى مدن ولاية نيو مكسيكو ا لأمريكية - جسمٌ غريبٌ أثار ضجةً مروعةً أدت إلى انتشار الذعر وسط الأهالي .. وبعد دقائق معدودة، كانت وحدات الجيش الأمريكي تنتشر في المدينة، وتحولها إلى ثكنة عسكرية بكل معنى الكلمة، ثم فرضت حظراً للتجوال على الأهالي، كما أصدر الجيش تعليمات مشددة بأنه سوف يطلق النار مباشرةً على أي مواطن يخرق حظر التجوال دون أي تحذيرات مسبقة .. فلماذا كان هذا التشدد المفرط تجاه تلك الحادثة ؟

الحكومة الأمريكية قامت بالتعتيم على جميع الأخبار حول هذا الجسم، وفرضت سرية مطلقة عليه وتعاملت معه على مدى عشرات السنين باعتباره مجرد (منطاد لدراسة الطقس)، إلى أن تم الكشف تدريجياً بواسطة صحفيين استقصائيين أكفاء عن أن ما سقط على روزويل كان **طبقاً طائراً يحتوي على بعض الجثث الغريبة لمخلوقات غير أرضية** .. التزمت الحكومات الأمريكية الصمت في وجه هذه الادعاءات ، إلى أن جاءت اللحظة التي قلبت كل الأمور رأساً على عقب، وتم الكشف عن شريط فيديو يسجل عملية تشريح إحدى هذه المخلوقات الفضائية، في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، قام بتسريبه طيار أمريكي متقاعد

بعد الكشف عن هذا الشريط وإعلان خبراء من شركة كوداك أن المادة الفيلمية للشريط تعود فعلًا إلى الأربعينيات، والاستعانة بخبراء من هوليوود أكدوا صعوبة وجود خدع سينمائية في هذا الشريط القديم .. قامت الدنيا ولم تقعد في الولايات المتحدة، وانهال الرأي العام كله بالنقد القاسي على الحكومة الأمريكية، لدرجة أن الرئيس الأمريكي وقتها **(بيل كلينتون)** كان في زيارة رسمية لإيرلندا الشمالية، وتحدث إلى الشعب الأمريكي حول هذا الموضوع قائلاً :

(على حد علمي، لم تصطدم سفن فضائية بمدينة روزويل في

العام 1947، ولو كان هذا قد حدث بالفعل، وأن القوات الجوية احتفظت بجثث للمخلوقات الفضائية.. فإنهم لم يطلعوني على الأمر إطلاقاً)

واستمر نفي الحكومات الأمريكية و التزامها بالصمت المطبق حتى يومنا هذا.. على الرغم من خروج عدد من علماء الفضاء الأمريكيين مثل **كارل ساجان** ، الذي قال إن ما سقط على روزويل كان بالفعل طبقاً طائراً فضائياً ، و أن الحكومة الأمريكية قامت بالتعتيم الكامل على هذا الموضوع لأنه ساهم بقدر هائل في دفع التكنولوجيا والتطور الصناعي الأمريكي، لما يملكه هؤلاء الفضائيون من تقنيات حديثة للغاية كانت وقتئذ غير مسبوقة لأي بلد في العالم !!) ..

(هذا مذهل).. قال لنفسه .. و ثقته بأن تجربته لم تكن وهماً ارتفعت أسهمها ، و تجذر يقينه بأنّ الكائنات الفضائية كما رأى بعينيه حقيقة لا ريب فيها ، لذا انتقل بحماسة أكبر إلى القصة الثانية ، **قصة أطفال مدرسة زيمبابوي** فكانت أعجب من سابقتها :

(في صباح يوم الجمعة **16** سبتمبر **1994**، شهدت بلدة صغيرة تُدعى رووا (**Ruwa**) على أطراف العاصمة **هراري** في **زيمبابوي** واحدة من أكثر الحوادث غرابة في تاريخ ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة (**UFO**) ما يزيد الأمر غرابة أن شهود العيان لم يكونوا طيارين عسكريين ولا باحثين محترفين، بل كانوا أطفالاً في مدرسة ابتدائية، يبلغ عددهم أكثر من **60** طفلاً تتراوح أعمارهم بين **6** و **12** عاماً.

كان ذلك اليوم عادياً حتى خرج الطلاب إلى فترة الاستراحة الصباحية. وبينما كانوا يلعبون في ساحة المدرسة، لفت انتباه بعضهم وجود أضواء غريبة في السماء. دقائق قليلة مرت قبل أن

يلاحظوا جسماً غريباً يهبط في منطقة مليئة بالأعشاب والشجيرات على بُعد مئات الأمتار فقط من ساحة المدرسة. وصف الأطفال الجسم بأنه معدني ولامع، يشبه طبقاً طائراً أو مركبة غريبة ، وأكد بعضهم أنه رأى فتحة تفتح في جانبه.

هنا بدأت أكثر لحظة إثارة في القصة : قال العديد من الأطفال إنهم شاهدوا مخلوقين أو أكثر يخرجون من المركبة. أوصافهم اختلفت في التفاصيل لكنها تشابهت في الجوهر :

- طول المخلوقات يقارب طول الإنسان ..
- ذات رؤوس كبيرة، بشرة خضراء وعيون لامعة وواسعة.
- أجسادهم نحيلة، ولباسهم أشبه ببدلة سوداء ضيقة.

ما جعل الشهادة أكثر غموضاً هو أن بعض الأطفال أكدوا أنهم لم يكتفوا برؤية الكائنات، بل شعروا أنها تخاطبهم ذهنياً. قالوا إن الرسالة التي وصلتهم تمحورت حول التحذير من **تدمير البيئة** و **التكنولوجيا الخطيرة**، وهو أمر غير مألوف بالنسبة لعقول أطفال في ذلك العمر.

لم يصدق المعلمون في البداية روايات الطلاب، خاصة أن الكبار لم يروا شيئاً، لكن الإجماع شبه التام بين الأطفال جعل الأمر يستحق المتابعة. تم استدعاء الصحافة المحلية، وسرعان ما انتشر الخبر عالمياً.

أبرز من قام بدراسة الحادثة كان **البروفيسور جون ماك** ، وهو **طبيب نفسي** من **جامعة هارفارد** وحاصل على **جائزة بوليتزر**. سافر ماك إلى زيمبابوي بعد أسابيع من الحادثة، وأجرى مقابلات مطولة مع الأطفال. لاحظ أن رواياتهم متماسكة وغير متأثرة بخيال الطفولة المعتاد، بل مليئة بتفاصيل دقيقة ومتشابهة رغم أن كل طفل كان يُسأل بشكل منفصل.

حادثة **مدرسة آرييل** في زيمبابوي تبقى حتى اليوم من أكثر الحوادث الغامضة إثارة للدهشة، لأنها تختلف عن غيرها من مشاهدات الأجسام الطائرة بكونها مرتبطة بالأطفال، الذين غالباً ما يُفترض أنهم أبعد ما يكونون عن المؤامرات والقصص المركبة. سواء كانت القصة دليلاً على زيارة كائنات فضائية أو مجرد لغز نفسي/اجتماعي لم يُفك بعد، فإنها تمثل علامة فارقة في تاريخ تقارير الـ **UFO**، وتستمر في إثارة الجدل بين الباحثين والعلماء والهواة على حد سواء.)

(يا إلهي ..!!).. خرجت الكلمات من فمه بلا إرادة .. لكن ماذا عن **هيكل أتاكاما** الذي عثر عليه في جارتهم تشيلي ؟! لم تكن المعلومات عنه كثيرة هذه المرة ، جسد يقارب طوله **15** سم فقط ، تشبه بنيته بنية المخلوقات الفضائية برأسه المتطاول ، عثر عليه في حقيبة جلدية خلف صخرة في صحراء أتاكاما في تشيلي ، لكن تحليله الجيني كان مفاجأة ، **DNA** يشبه كثيرا **DNA** البشر لكن مع جينات غريبة على جنسهم ..

زاد حماسه و تصاعد نسق ضربات قلبه .. انتقل على الفور إلى الآثار التي ادعى الفضائيون أنهم تركوها على كوكب الأرض ، فبدأ **بقصة أقراص دروبا العجيبة** التي من شدة غرابتها جعلت القصص السابقة تبدو عادية جداً !! :

(**الزمان** : عام **1938** .. **المكان** : جبال (**يابان - كارا - أولا**)على الحدود بين الصين و التبت ..

كانت البعثة الاستكشافية بقيادة البروفيسور **تشي بو تاي** من جامعة بكين تتوغل عبر الطرق الوعرة بين جبال الهملاديا حين عثروا على شبكة كهوف غريبة و منذ وطأت أقدامهم أرضها حتى توالت الاكتشافات الغامضة و الخطيرة واحداً تلو الآخر ..

فقد كان أول ما لاحظوه أنّ الكهوف محفوره بإتقان و تشكل نظاماً معقداً من القنوات و غرف التخزين ، و كانت جدرانها مستقيمة الى حد بعيد .. و بداخل الغرف وجدوا أماكن مرتبة خاصة للدفن و بداخلها **هياكل عظمية لأناس ذوي هيئة غريبة** ، أطوالهم حوالي **122** سم ،عظامهم هشة و جماجمهم كبيرة بشكل غير متناسق مع الجسم !!

اقترح أحد أعضاء فريق الاستكشاف انها تعود لنوع من القرود ، إلا انّ البروفيسور تشي بو تاي رفض هذا الاقتراح تماماً ، إذ أنّ أحداً لم يسمع من قبل عن قرود تدفن موتاها أو تقوم ببناء هذا النظام المعقد بنفسها !!

كما أنّ مزيداً من الاكتشافات داخل الكهوف أضافت كثيراً من الصحة لوجهة نظر البروفيسور.. فقد وجد الفريق على جدران الكهوف نقوشاً تصويرية للشمس و القمر و النجوم و الأرض ، وكانت هنالك خطوط من النقاط تربط بينها .. إلا أنّ أهم اكتشافاتهم على الاطلاق في هذه الكهوف كان أقراصاً حجرية وجدوها مدفونة في أرضية الكهوف !. و كان قطر القرص الواحد حوالي **22.8**

سم و ارتفاعه **1.9** سم و في وسطه ثقب دائري بقطر **1.9** سم أيضاً .. و وجدوا على وجه القرص نقشاً محفوراً بدقة يظهر خارجاً من الثقب في الوسط ليدور وينتهي عند محيط القرص..

تم العثور على **716** قرصاً تبين أنها تعود الى **12** ألف عام مضى ، أي أنها أقدم من الأهرامات في مصر ، وكل قرص يشتمل على مجموعة من الأسرار على ما يبدو ، حيث تبين أنّ النقش على وجه كل قرص لم يكن أبداً نقشاً عادياً ، بل أظهرت الأبحاث أنه خط متواصل من كتابة شبيهة بالكتابة الهيروغليفية !! و كانت الكتابة صغيرة جداً بل حتى مجهرية !!

في العام **1962** ، استطاع عالم صيني آخر هو الدكتور **تسوم أم نيو** أن يفك شفرة الكتابة الموجودة على الأقراص ، فتبين أنها تحوي معلومات غريبة جداً لا يمكن تصديقها بل إنها هاربة من أفلام الخيال العلمي ، لدرجة ان قسم ما قبل التاريخ في جامعة بكين منع نشرها في البدء !!

قام الدكتور تسوم بنسخ ما يراه على وجه القرص على ورقة ، و لأنّ الكتابة على القرص كانت دقيقة وصعبة القراءة اضطر معها الدكتور للاستعانة بعدسة مكبرة ، و كانت المهمة صعبة و مرهقة جداً ، فالأقراص مضى على وجودها **12** ألف سنة و الكتابة مجهرية .. و عندما انتهى الدكتور من نسخ ما في الأقراص على الورق ، بدأ في ترجمتها وفك أسرارها ، كلمة كلمة ، جملة جملة ،

وسطراً سطراً ، حتى استطاع في النهاية فك الشفرة كاملة .. فوقف مصعوقاً من النتيجة أمامه ..

كانت الشفرة مكتوبة من قبل أناس يطلقون على أنفسهم لقب **دروبا** و كانت الأقراص تحكي عن مركبة فضائية قادمة من كوكب بعيد تحطمت على الأرض قبل **12** ألف عام ، فوجد طاقمها في كهوف الهملايا ملاذا آمناً لهم ، لكن وعلى الرغم من أن الدروبا هم قوم مسالمون إلا أن **قبيلة هان** التي كانت تسكن في كهوف قريبة من كهوف الدروبا خافت منهم في البداية فقتلت بعضهم ..

وتستمر الأقراص في إخبارنا حكاية الدروبا العجيبة ، حيث تذكر أنهم لم يستطيعوا إصلاح مركبتهم الفضائية وبالتالي لم يتمكنوا من العودة إلى كوكبهم ، فبقوا سجناء كوكب الأرض !!

في يومنا الحاضر ، يسكن في تلك المنطقة المعزولة بالقرب من الكهوف المكتشفة قبيلتان تدعوان نفسيهما للغرابة الشديدة قبيلة هان و قبيلة دروبا أي كما ذكرت الأقراص بالضبط !! و الأغرب أنّ العلماء لم يستطيعوا تصنيف هاتين القبيلتين عرقياً ، فهم ليسوا من

قبائل الصين ولا من قبائل التبت .. كلتا القبيلتين من الأقزام ذوي البشرة الصفراء والأجسام النحيلة ولهم رؤوس كبيرة ، أجسامهم تشبه إلى حدّ بعيد الهياكل التي عثر عليها البروفيسور تشي بو تاي عام **1938** ، ولهم عيون واسعة زرقاء شاحبة اللون لا تشبه العيون الاسيوية بأي شكل من الأشكال !!

في العام **1968** م قام العالم الروسي **سايتسو** بدراسة العناصر المكونة لأقراص دروبا ، فوجد أنها **صخور جرانيتية** تحتوي تركيزاً عالياً من معدن **الكوبالت** وبعض العناصر الاخرى مما يجعلها من أشد الصخور صلابة بحيث يصعب على القدرة البشرية العادية حفر مثل هذه النقوش عليها ، خصوصاً بحجم الخط الميكروسكوبي الموجود على الاقراص !! كما وجد لها خصائص كهربائية حيث من الممكن استخدامها كموصلات كهربية !!

كل هذه الأدلة و الاكتشافات وضعت العلماء أمام فرضية وحيدة منطقية لكن صادمة و مخيفة للغاية ، بأن قصة شعب دروبا الفضائي صحيحة و بأننا لسنا وحيدين في هذا الكون الشاسع !!)

(هل يعقل أن يكون كل هذا حقيقياً ؟! إنه أغرب حتى من الخيال االعلمي !!) .. تمتم بدهشة ..

بقيت لديه قصة شيقة أخيرة .. **قصة كهوف تاسيلي** ، و إن كانت قناعته بحقيقة وجود الفضائيين أصبحت بعد كل ما سبق راسخة ، لا تقبل الشك ، و لا تحتاج إلى أدلة إضافية :

(تقع سلسلة الكهوف هذه في مرتفعات تاسيلي على **الحدود الليبية الجزائرية** .. تم اكتشافها بالصدفة في عام **1938**، وكانت محتوياتها مثيرة و غامضة للغاية ، مما جعلها تتحول من مجرد كهوف في سلسلة مرتفعات إلى واحدة من أكثر الألغاز غموضاً التي يحاول العلماء إيجاد تفسير علمي ومنطقي لها حتى يومنا هذا

دون جدوى.. فقد رسمت على جدران تلك الكهوف نقوش ورسومات قديمة جداً تشير إلى وجود حضارة قديمة في هذه المنطقة .. الأمر عادي ومقبول تماماً حتى الآن لأي عالم حفريات أو آثار، لكن تلك الرسوم، و بعد التدقيق فيها، تبين أنها تشير إلى أمور غير عادية على الإطلاق بالنسبة لرسومات قديمة في سلسلة كهوف مهجورة..

فهناك رسومات لمخلوقات بشرية تطير في السماء، وترتدي أجهزة طيران، وملابس شبيهة بملابس رواد الفضاء ومركبات فضائية.. وهناك أيضاً رسومات لبعضهم يرتدي ملابس تشبه ملابس الغواصين البشريين، وآخرون يتجهون نحو ما يشبه اسطوانات غامضة تبدو وكأنها تهبط من السماء.. إضافةً إلى أطباق طائرة !!

لذلك، قرر الباحثون والعلماء الذين توافدوا على هذه المنطقة أن يقوموا بالشيء المنطقي الوحيد الذي يثبت جدية هذه الرسومات من عدمها، وهو دراسة عمر هذه اللوحات والرسوم ، فكانت المفاجأة أن عمرها يتراوح بين **17** إلى **20** ألف عام !!

بعد هذه الحقيقة العلمية المؤكدة، ظهرت نظريات مختلفة، منها ما يقول إن مخلوقات فضائية جاءت إلى هذه المنطقة في هذا الوقت السحيق من عمر الحضارة البشرية، وأرادت ترك أثر عنها .. ونظريات أخرى تقول إن هذه الرسوم والجداريات رسمها بشر من المستقبل استطاعوا العودة إلى الماضي بتقنية معينة سيتوصلون إليها، وأرادوا ترك هذا الأثر للتعبير بأنهم استطاعوا العودة إلى الماضي. وهناك نظريات تشير إلى أن هذه الرسومات وضعها أهل أتلانتس الغارقة، الذين توصلوا لعلوم وتقنيات مذهلة تضاهي ما وصل إليه البشر اليوم.

لكن المؤكد هو أن كهوف تاسيلي تحديداً هي واحدة من أكثر الظواهر غموضاً في التاريخ الإنساني منذ اكتشافها، والتي تثبت بشكل عام أن التاريخ الذي نعرفه اليوم هو تاريخ حديث الولادة، وأن هناك أناساً وشعوباً وحضارات وأحداثًا جرت في هذه الأرض منذ زمن سحيق، ولا نعرف عنها شيئاً على الإطلاق !!)

انتهى نايرا من بحثه و هو مثقل بالدهشة و الإيمان .. لقد اقتنع هو بشكل مؤكد ، بل بات يتساءل بدهشة : **كيف يشكك البشر في وجود الفضائيين بعد كل هذه القصص العجيبة التي يتحد فيها العلم مع الوقائع في إثبات حقيقة لا يمكن إنكارها ؟!! ..**

لكن ماذا الآن ؟ هل يمرر تجربته إلى الآخرين ، أم ينفرد بها لنفسه و حسب ؟

****

ظلّ نايرا لليالٍ طويلة مشغولًا بما رآه. كانت صور الضوء، الكائنات الثلاثة، والأصوات التي انسكبت في عقله، تتردد في داخله كصدى أبدي لا ينطفئ .. كذلك المعلومات التي جمعها عن قصص ملاقاتهم و آثارهم التي خلفوها وراءهم تدور في دماغه

كزوبعة لا ترحم . أحسّ أنه لا يستطيع أن يبقي السر مكتومًا، أن عليه أن يُخرج ما رآه للنور، ليشارك البشرية باللحظة التي هزّت كيانه. كان مقتنعًا أن الناس سيتلقون قصته بذهول، أن أصوات العلماء ستتعالى لتدرس شهادته، وأن الجدل الأبدي حول وجود الكائنات الفضائية سيُحسم أخيرًا.

و ذات مساء حسم أمره و عقد العزم على تمرير تجربته لغيره ، جلس أمام حاسوبه، وفتح صفحته على موقع التواصل الاجتماعي. أصابعه كانت ترتجف، وقلبه يخفق كأنما يستعد لعبور هاوية. كتب منشورًا مطوّلًا، وصف فيه بدقة كيف اخترق الضوء السماء، كيف هبط الطبق الطائر، كيف التقى الكائنات التي قدّمت نفسها باسم شعب باي .. الحوار الذي دار بينهم بالتخاطر الذهني . كان صادقًا إلى أقصى حدود الصدق، كطفل يعترف بسرٍ عظيم. أرفق كلماته برجاء خفي : *(اقرأوني بعين القلب و العقل ، لا بعين الشك و الرفض المسبق)*. ثم ضغط زر النشر، وأسند ظهره إلى الكرسي، شاعرا أن عبئًا هائلًا قد انزاح.

لكن ما تلا ذلك كان عاصفة هوت به إلى قاع لم يعرفه من قبل.

بدأت التعليقات السلبية تنهال على منشوره ..

كان بعضهم رحيمًا، أو متظاهرًا بالرحمة، يقول له : *(أنت تتوهم يا نايرا، ربما كنت مرهقًا، ربما حلمت)*. آخرون لم يرحموه : *(قصة مختلقة لتجذب الأنظار، ألا يكفيك صمتك الطويل حتى تصطنع بطولة زائفة؟)* أما الأغلبية، فقد حكمت عليه بلا شفقة : *(فصام، هلوسات، أوهام ذهانية... يجب أن تراجع طبيبًا نفسيًا على الفور قبل أن يتفاقم مرضك.)*

قرأ نايرا تلك الكلمات كمن يتلقى طعنات متتالية من خناجر مسمومة بالشك. لم يكن التعذيب في قسوة الاتهامات فحسب، بل في

مصدرها أيضًا : من أصدقائه، من زملائه في المرصد ، ومن أقرب المقربين إلى قلبه. كان يتوقع أن يجد فيهم سندًا، فوجد فيهم جدارًا من إنكار وسخرية. كأن الحقيقة التي حملها بكل نزاهة تحولت بين أيديهم إلى عبءٍ ثقيل يسخرون منه.

انطوى نايرا على نفسه. أغلق هاتفه، وحجب صفحته عن العالم، وأغلق نوافذ بيته الخشبي ليعزل نفسه عن الضجيج الخارجي.
أسابيع طويلة قضاها وحيدًا، يذوي مثل شجرة فقدت الماء.
الاكتئاب العميق أطبق على صدره، وحوّل الليل إلى مقبرة للأفكار.
جلس في عتمة غرفته يتذكر كلمات تلك الكائنات : *(أنتم لا تأمنون جانب بعضكم، فكيف نأمن جانبكم؟)*.. شعر أنهم كانوا على حق، بل على حق أكثر مما كان يتخيل.

تأمل في كلماتهم الأخيرة له قبل رحيلهم : *(الحقيقة ليست دائمًا خلاصًا، بل قد تكون لعنة)*. و تذكّر نصيحتهم المستلهمة من أساطير الإنكا : *(الحقيقة كزهرة أبوردة، عطرة وجميلة، لكن من يقطفها ينزف من أشواكها)*. الآن فهم معناها بعمقٍ جارح؛ لقد قطف تلك الزهرة حين قرر أن يبوح بما رأى، والآن الدماء تسيل من روحه لا من جسده ، من جراحٍ أحدثتها كلمات الآخرين ، كلمات أقسى من أي سلاح.

في ليالي عزلته، كان نايرا يجلس قرب نافذته المغلقة، يحدّق في عتمة الليل الطويل، محاولًا استرجاع ذلك النور الذي غمره عند لقائه بشعب باي. كان يسأل نفسه : *(هل كنت واهمًا حقًا؟ أم أن الحقيقة أعظم من أن تتحملها العقول المقيّدة بالخوف والإنكار؟)* ما عاد يعرف أين يقف، لكنه أيقن أن تجربته تركت فيه ندبة لن تمحى.

هكذا ظل نايرا، رجلًا بين عالمين : عالم البشر الذي رفضه، وعالم من الغيب الذي كشف نفسه له للحظة خاطفة. وفي قلبه ظلّت الحقيقة، مثل أسطورة زهرة أبوردة عند الإنكا : **جميلة، عطرة، لكن أشواكها ما تزال تنزف.**

أسطورة العالم الآخر لا تختلف عن أسطورة الكائنات الفضائية ، كلاهما يؤكده **المنطق و الحسابات الرياضية** فلا يعقل لكون يحتوي **70** سيكستليون نجماً (سبعة و أمامها **21** صفراً) و أضعافها من الكواكب أن يقتصر على الحياة البشرية فحسب .. و كلاهما تبصم له **الروحانيات و الفلسفة** ، فلا يعقل لهذه الحياة المصممة بعبقرية أن تكون وليدة الصدفة البحتة ، فلا بد من وجود يد نسجتها ، و وجود هذه اليد يفترض وجود حياة أخرى بعد الموت في أجساد أخرى و عالم آخر.. و الأجمل أن **كلاهما يبقى كأسطورة** تتأرجح بين الشك و اليقين .. فلا يمكنك الجزم بصحتها .. و لا أن تقسم بأنها محض خرافة !!

لوح الويجا

إفريقيا / رواندا

كيغالي ..

2077 م ..

في عمق الليل الإفريقي، حين تعوي الريح في غابةٍ يلفّها الغموض وتتعالى الطبول مثل قلبٍ هائجٍ يخفق في العتمة، يجلس العجوز قرب النار ويروي : *الروح في ديانة الفودو ليست سرًّا واحدًا، بل أبواب كثيرة*. يحدّثهم أن الروح ليست مجرد ظلٍّ يغادر الجسد بعد الموت، بل كيان متشعّب : روحٌ تحرّك الجسد، وأخرى تعيش بين الأسلاف، وثالثة تسافر في الأحلام، تبحث عن أسرار الغيب.

وحين تبدأ الرقصة، ترى الوجوه وقد انمحى عنها الزمن. الأجساد ترتجف، العيون تغيم، والطبول تزداد إلحاحًا. يقولون إن الروح آنذاك تنفتح، لتسمح للإله أو للجدّ أن يسكنها. في تلك اللحظة يصبح الإنسان جسرًا بين الأرض والسماء، بين الطين والبرق، بين الأجداد و الأحفاد ، كأن جسده مجرّد إناء لفيضٍ أزلي.

لكن الروح ليست ملكًا للفرد وحده؛ إنها عهد مع الجماعة. الأجداد لا يغادرون تمامًا، بل يظلون حاضرِين في كل خطوة، يباركون، يوبّخون، ويذكّرون. الروح هي ذاكرة القبيلة، دمٌ خفيّ يربط الأحياء بالأموات، ويعيد صياغة معنى الانتماء. لهذا، إذا انقطع الإنسان عن أهله أو خان العهد، انكسرت روحه واحتاجت إلى طقس يعيد لها توازنها : قربان، صلاة، أو رقصة تُعيد ترتيب النغم في داخله.

وحين تخفت الطبول أخيرًا ويبتلع الصمت الغابة، يبقى في الهواء

إحساسٌ غريب : كأن الأرواح ما زالت تراقب، وكأن كل نفسٍ يتردّد في صدور الحاضرين ليس ملكهم تمامًا، بل عطية من شبكةٍ غير مرئية تحتضنهم. عندها يدرك السامع أن الروح، في نظر الفودو، ليست ما نحمله نحن، بل ما يحملنا نحن جميعًا، في رحلةٍ أبدية لا يعرف لها أحد نهاية.

****

كانت الشمس تغيب ببطء خلف التلال الخضراء التي تزيّن سهول رواندا كقلادة من زمرد، فيما انحدر المساء على القرية الصغيرة ليكسوها بملمسٍ من الغموض. في تلك الأجواء، اعتاد ثلاثة أصدقاء أن يجتمعوا عشية كل عطلة نهاية أسبوع : **موغيشا**، طالب جامعي يفيض عشقًا لقارته الأم، يرى في إفريقيا أمًّا كبرى وحضنًا دافئاً لا يحق لأبنائها أن يخونوه. ثقافته غير دينية فهو لا يؤمن بالغيبيات على الإطلاق بل كانت أشبه بدرعٍ من نار؛ كلما تحدّث عن ممالك إفريقيا القديمة أو عن موسيقاها وأبطالها، تتوهّج عيناه كجمرٍ تحت الرماد.

إلى جواره يسير **كويزيرا**، الموظف الرزين في شركة اتصالات. رجلٌ يزن كلماته بميزانٍ داخلي غريب، كأن كل عبارة تمرّ على قاضٍ عادل قبل أن تُنطق. كان أصدقاؤه يصفونه بالحكيم، إذ عرف كيف يوازن بين العمل والأسرة، بين الحياة العملية والروحانية التي ورثها من أسلافه .. و كان متيماً بالكتب و الثقافة ..

أما الثالث، **روتا بينغوا**، فكان عالمًا آخر. شاب ترك المدرسة منذ سنوات، ليس لأنه عاجز عن الدراسة، بل لأنه لم يجد نفسه في كتب الرياضيات والتاريخ. كان يراها ضيقة على خياله المتسع في فضاءات الأرواح والجن والأشباح. حدث أن اجتمع به طبيب ذات يوم فلفتت أفكاره الغريبة انتباهه، أخبر عائلته أن روتا ربما كان مصاباً **باضطراب الشخصية الفصامانية** العاشقة للماورائيات و

الأفكار الجامحة و الخيالية، لكن روتا نفسه لم يُدرك ذلك، بل كان مقتنعًا أنّ عقله نافذةٌ على عوالم خفية. ومع مرور الوقت لم يبق له بسبب أفكاره الغريبة سوى صديقي الطفولة، موغيشا وكويزيرا، اللذين فهما ضعفه واحتضناه بمحبةٍ لا تخلو من الحذر عندما انفض الجميع من حوله ..

في عطلة نهاية أسبوع دافئة، شدّ موغيشا وكويزيرا الرحال إلى كوخ روتا بينغوا الخشبي المعزول عند أطراف القرية. كان الكوخ محاطًا بأشجارٍ كثيفة، كأنها تحرسه من أعين الغرباء.

طرقا الباب، فسمعا صوت صديقهما من الداخل يضحك ضحكة غريبة :

= لقد جئتما في الوقت المناسب ! عندي الليلة سرّ عظيم.

دخلا الكوخ ذو التصميم العجيب من الداخل و المتخم بأشياء مصنوعة يدوياً و مجسمات لكل ما هو غريب و غامض في الكون

، كان بينغوا جالسًا على حصيرٍ قديم، وأمامه لوح غريب مرسوم عليه حروف وأرقام، تتوسطه قطعة خشبية صغيرة على شكل سهم. عيونه كانت مشتعلة بنشوة مكتشِف وطأ قارة جديدة. قال :

= مفاجأة مدوية لكما اليوم .. تعالا و تعرفا على **لوح الويجا** مستحضر الجنّ و الأرواح ! اكتشفت أمره في هاتفي الليلة ، فصنعت واحداً بنفسي ، سنخاطب الأرواح، وسنرى إن كان الجن يجرؤون على الظهور لنا.

جلس موغيشا بثقلٍ ظاهر، واضعًا يده على جبينه :

= روتا، ألا يكفيك ما أنت فيه؟ إفريقيا يا صديقي مليئة بأرواح الأسلاف والطقوس العريقة المزعومة ، لماذا نبحث عن ألعاب اخترعها غرباء عن القارة ؟

ابتسم روتا بينغوا ابتسامة فيها كثير من السايكوباثية :

= ومن قال إنها لعبة؟ هذا بوّابة .. البوّابات لا تُفرّق بين الشرق والغرب، إنها تفتح فقط لمن يجرؤ على العبور.

أما كويزيرا فجلس قربهما بهدوءٍ عميق، كمن يراقب مسرحية لم تُكتب نهايتها بعد. نظر في اللوح مطولًا، ثم قال :

= وفقا لمعلوماتي ، فلوح الويجا ليس إفريقي الأصل، بل وُلد في الغرب في القرن التاسع عشر، في الولايات المتحدة على وجه التحديد . اخترعه رجال أعمال أثناء موجة الاهتمام بالروحانيات والتواصل مع الموتى. كانوا يبحثون عن وسيلة عملية، فصنعوا لوحًا تُكتب عليه الحروف والأرقام كلها ، ومعها كلمتا (نعم) و(لا). يجلس المشاركون حوله، ويضعون أصابعهم على قطعة خشبية صغيرة تُسمّى **المؤشّر** . يقوم المجربون بسؤال أولي عادة : ***هل هنالك أحد آخر معنا في الغرفة ؟*** ، فيبدأ المؤشّر يتحرك – بوعيٍ

أو بلا وعي – و يتنقل بين الأحرف و الأرقام لتكوين كلمات ورسائل يُعتقد أنها صادرة عن الأرواح أو الجن ..

رفع موغيشا حاجبيه، وقال بلهجة ساخرة :

= إذن الأمر لا يعدو كونه تجارة؟

ردّ كويزيرا بابتسامته الهادئة :

= ربما .. لكنه مع ذلك أثار أسئلة عميقة عند البشر : هل يمكن للأحياء أن يخاطبوا الموتى؟ وهل ما نسمعه عبر اللوح هو صوت اللاوعي الجماعي أم صدى لعالمٍ آخر فعلاً؟ ، و الأهم من ذلك ، فقد ادعى الآلاف حول العالم أن تجربتهم للوح نجحت و تواصلوا مع جن و أرواح ، و لا ندري ربما صنع اللوح لغاية تجارية لكنه بالنهاية منح الماورائيات فرصة و إمكانية كي تعبر عن نفسها !!

كان روتا بينغوا يصغي بكل جوارحه لحوار الصديقين، عيناه تتوهجان كما لو أن الكلمات وقودٌ جديد لأفكاره :

= إذن، الليلة سنعرف .. إن كان لاوعينا أم الأرواح هو من سيتحدث ، فاللوح سيجيب على أسئلتنا ..

جلس الثلاثة حول اللوح، تداخلت أنفاسهم المترقبة بتوتر مع صوت صراصير الليل و وشوشة الريح في الخارج .. وضعوا أصابعهم على المؤشّر، وفي تلك اللحظة شعر موغيشا بوخزة خوفٍ تسري في قلبه، بينما ظل كويزيرا متماسكًا، أما روتا بينغوا فكان وجهه يشرق بانتظار لحظة الكشف.

وهكذا، بين العقل المتزن المحايد والحلم الجامح بالغيبيات والعاطفة الإفريقية المتأججة بالإنكار، بدأ أصدقاء الطفولة رحلتهم نحو الماورائيات، كأنهم يعيدون اكتشاف معنى الروح في قرية صغيرة تحت سماءٍ ملبّدة بالأسرار.. وضعوا أصابعهم على المؤشّر كما أوصت التعليمات، وتبادلوا نظرات مرتعشة. ، ثم نطق روتا بينغوا :

= إن كان هنالك أحد من الجن أو الأرواح معنا في الغرفة فليجب عبر هذا اللوح ..

لحظة الانتظار بدت أطول من العمر ثم بدأ المؤشّر فجأةً يتحرك، ببطء أولاً، ثم بثباتٍ كمن يعرف وجهته.

ارتجف موغيشا :

= هل... هل أنتم من يدفعه؟

هزّ كويزيرا رأسه نافياً، وعيناه لا تفارقان المؤشّر الذي بدأ يتهجّى كلمات : **أنا روح، لست جنيًا.**

ساد الصمت، حتى كاد يُسمع خفقان القلوب. ثم عادت المؤشّر

يتحرك : **اسمي أريان. طبيب من كالكوتا. متُّ أمس في حادث سير. دفنوني في قريتي قرب شجرة الأراك العزيزة على قلبي منذ طفولتي . لكنني لم أمت .. قلبي ينبض بشكل ضعيف و غير مقاس ... أنقذوني ... أخبروا عائلتي ...**

انقطع نفس الأصدقاء كأن سكينًا حادًا فصل بينهم وبين يقينهم القديم. الروح واصلت : **يجب أن تصلوا إليهم سريعًا. وإلا... لن يطول الوقت قبل أن أختنق و أموت بالفعل .. وداعًا.** ثم توقف المؤشّر فجأة، كأن اليد الخفية التي حركته انسحبت من العالم.

جلس الثلاثة مذهولين، يحدّقون في اللوح الصامت كأنهم أمام باب انغلق على سرّ لن يعود.

كان موغيشا أول من تكلّم، وصوته يترجّف فقد بدأت قناعاته التشكيكية تتهدد :

= هذا... هذا جنون. نحن هنا في رواندا، واللوح يحدثنا عن شاب في الهند؟ أيمكن أن يكون هذا صدقًا؟

كويزيرا ظل صامتًا، لكن نظراته كانت مثقلة بالريبة. عقله الرزين لم يحتمل غرابة ما حدث. شيء في داخله يهمس أن ما جرى ليس إلا خدعة، لعبة أعصاب مريبة. لم يشأ أن يصرّح، لكن عينيه كانتا تتجهان شيئًا فشيئًا نحو صديقهم غريب الأطوار روتا بينغوا.

أما روتا، فقد جلس متقاطع الساقين، وابتسامة مشتعلة ترتسم على وجهه. ثم فجّر ضحكة سايكوباثية مخيفة :

= أرأيتم؟ كنت محقًا على الدوام ! الأرواح هنا، الجن هنا، وإذا كانت الروح قد عبرت إلينا من كالكوتا، فماذا يمنع أن يأتي الفضائيون غدًا من مجرّات أخرى؟

ارتعش قلب موغيشا من ضحكة صديقه ، شعر أنها أكثر رعبًا من الرسالة نفسها. أما كويزيرا فأخذ نفسًا عميقًا، محاولًا أن يخفي قلقه خلف جدار العقل، لكن الشك كان يتسلل داخله بلا هوادة : هل حقًا تحرك المؤشّر بفعل قوة غامضة؟ أم أن روتا بينغوا، بعقليته الغريبة وضحكته المقلقة، هو من دفعه خفيةً ليحيك هذه الحكاية و يثبت صحة أفكاره الثابتة ؟

في تلك اللحظة، صار اللوح ساكنًا، لكن ظلاله لم تفارقهم. كان الكوخ كله يضجّ بأسئلة أكبر من قدرتهم على الاحتمال : هل ما جرى نداء حقيقي من روح مدفونة حيّة في أرض بعيدة؟ أم أنه مجرد لعب بعقول أصدقاء جمعهم خيط طفولة، وبدأ اليوم يتفكك تحت وطأة الماوراء؟

****

انتهت السهرة كما تنتهي الأحلام الثقيلة، بضحكاتٍ متقطّعة يشوبها كثير من القلق المقنّع . خرج موغيشا أولًا، عائدًا إلى منزل أسرته، يردد في أعماقه أن ما جرى مجرد أوهام طفلٍ كبير اسمه روتا بينغوا. تبعه كويزيرا، متماسك الظاهر، مهتزّ الباطن، فيما بقي روتا يلوّح لهما ضاحكًا ضحكته الغريبة كأن الكوخ نفسه ارتجف معها .. فقد أعلن انتصاره اليوم على الجميع ..

في الطريق إلى البيت، ظل صدى الرسالة يطارد كويزيرا : **أنا لم أمت... قلبي ينبض.** كانت كلمات اللوح كحجرٍ صغير ألقي في بركة مستقرّة ، فأثار دوائر لا تهدأ. وعندما أسند رأسه أخيرًا إلى وسادته، لم يعرف النوم طريقًا إلى عينيه. الأسئلة تحاصره : ماذا لو كان روتا هو من حرّك المؤشّر؟ وماذا لو لم يفعل؟ ماذا لو أنّ حياة إنسانٍ ما، في مدينة بعيدة اسمها كالكوتا، معلّقة الآن على قرارٍ يتخذه شاب رواندي في منتصف الليل؟

أغمض عينيه، فتراءى له وجهٌ مجهول، كأن الروح التي نطقت عبر اللوح لا تزال تهمس في أذنه. انتفض من فراشه كمن يفرّ من كابوس. جلس أمام حاسوبه، أصابعه ترتجف وهو يكتب في محرك البحث : **طبيب هندي شاب اسمه أريان توفي الأمس في حادث سير .**

لم تمر سوى لحظات حتى انفتحت أمامه شاشة الخبر، خبر وحيد يتيم، لكنه كان كالطوفان الذي جرف كل شكوكه : **حادث سير في ضواحي كالكوتا يودي بحياة الطبيب الشاب أريان شاندرا.**

تجمّد كويزيرا، ودماؤه تجري مثل ماء بارد في عروقه. تذكّر الكلمات التي هجّاها المؤشّر : **أنا لم أمت... أنقذوني.** رفع يده إلى فمه، كأنه يحاول إسكات صرخة ستفضح ارتجاف قلبه.

في تلك اللحظة لم يعد السؤال : **هل كانت التجربة خدعة؟** بل صار في الحقيقة : **ماذا أفعل الآن؟**

اندفع يبحث بعجلة، يطرق أبواب الفضاء الواسع لمواقع التواصل الاجتماعي. كتب الاسم : **أريان شاندرا.** لم يطل بحثه كثيرًا حتى عثر على صفحة شابٍ أصغر سنًا من كالكوتا يحمل الكنية نفسها. ملامحه تشبه الميت المزعوم، لكن ببراءة أصغر. كان واضحًا أنه أخوه.

كتب له رسالة طويلة، بدأها مترددًا :

(أنا كويزيرا، شاب من رواندا. أعرف أن ما سأقوله سيبدو غريبًا، وربما جنونًا. لكنني الليلة كنت مع صديقين، وجربنا لوح الويجا الشهير .. وهناك، خاطبتنا روح قالت إنها تعود لأخيك أريان. قالت إنه لم يمت، وأنه دُفن حيًا، قلبه لا يزال ينبض ببطء . أرجوك، لا تهمل هذه الرسالة .. أرجوك افعل شيئًا قبل فوات

الأوان.)

أرسلها وهو يكاد لا يصدّق أنه فعل. جلس بعدها يحدّق في الشاشة، يتنفس ببطء، كمن ينتظر حكمًا على مصيره لا على مصير الآخر فقط.

مرت دقائق طويلة كالأبدية. ثم ظهر إشعار : (رسالة مقروءة.)

أجاب الأخ الأصغر بارتباكٍ ظاهر :

(من أنت؟ هل هذا نوع من السخرية؟)

أسرع كويزيرا يكتب :

(على الإطلاق .. ابحث عني إن شئت، ستجدني شابًا عاديًا من رواندا .. لا أعرفكم، لم أزر الهند قط .. لكن ما جرى الليلة جعلني مضطرًا أن أكتب .. لا أريد منكم شيئًا، فقط تأكدوا أن أريان لم يمت .. لقد قال لنا أنه دفن بجوار شجرة الأراك العزيزة على قلبه منذ طفولته)

توقف الأخ عن الرد لحظات. بدا أنه يغوص في صفحة كويزيرا، يتفحّص الصور والمنشورات. ثم عاد ليكتب :

(أنت... حقًا من رواندا؟ كيف عرفت قصة شجرة الأراك؟ حتى الصحافة هنا لم تذكر التفاصيل بعد! و لا أحد يعرفها سوى عائلة أريان)

كان صوته في الرسائل يتأرجح بين الأمل و الخوف. لكنه لم يطل الصمت هذه المرة. بعد دقائق قليلة كتب :

(سأوقظ أبي و أخبره لنرى ما سنفعله .. شكراً لاهتمامك و

تواصلك)

في الطرف الآخر من العالم، جلس الأب الهندي أمام ابنه و هو يروي القصة كلها، رسالة شاب إفريقي لا يعرفهم يخبرهم بما لم يقله أحد بعد. لكن للدهشة و بدلاً من أن يسخر الأب أو يغضب، انحنى برأسه كأنه يسلّم لقدَرٍ انتظره طويلًا. ثم قال بصوتٍ متهدّج :

= أنا لا أستغرب. أريان منذ طفولته كان يلحّ علينا : إذا متّ يومًا، لا تحرقوني كما يفعل الناس هنا، بل ادفنوني قرب شجرة الأراك. لعلّ السماء كانت تهمس له بأنه سيُشخّص بالموت خطأ ذات يوم، وأنها ستمنحه فرصة أخرى للحياة. لقد كنا نضحك ونعتبرها هواجس صبي صغير ... لكن قلب الأب لا ينسى.

ارتجف صوت الابن الأصغر :

= إذن... ما الذي نفعله الآن؟

أجاب الأب بعينين دامعتين :

= نذهب .. الآن .. لا وقت للانتظار .. فنحن في معركة مع عدّاد الزمن ..

وبينما كانت الأسرة الهندية تتحرك في عتمة الليل لإنقاذ ابنها من باطن الأرض قبل أن يختنق و يموت بالفعل ، كان كويزيرا جالسًا أمام حاسوبه في رواندا، عيناه مثبتتان على الشاشة، وقلبه يتأرجح بين رعبٍ ورجاء. لم يدرِ إن كان قد أنقذ إنسانًا حقًا، أم أنه انجرّ وراء خيوط قدرٍ غامض نسجتها الأرواح. لكنه كان متأكدًا من شيء واحد : تلك الليلة لم تكن مجرد تجربة غريبة مع لوح خشبي، بل كانت بداية لعلاقة خفية بين قارتين، بين عالمين ، بين الأحياء

والأرواح، بين اليقين والشك، بين الخوف والإيمان ، و بين اليأس و الرجاء .. و لعل صديقهم روتا بيغوا لم يكن واهماً بالمحصّلة !!

****

كان الليل قد انحنى على القرية الهندية، والهواء يقطر برطوبةٍ خفية كأن السماء تحبس دموعها. حمل الأب مع أبنائه أدوات بسيطة : معاول ، مجرفة ومصباح زيت. اتجهوا نحو القبر قرب شجرة الأراك بخطوات ثقيلة، مشدودة بالتوتر، وكأنهم يسيرون على خيط رفيع بين الوهم واليقين. وصلوا إلى القبر، وفي صدورهم اختلاط من رهبة ورجاء، كأنّ كل حفنة تراب سيزيلونها تقرّبهم من معجزة أو من جنون أو من انتهاك لحرمة الميت ..

ضربت المعاول الأرض المبتلة، ورائحة الطين الممزوج بالموت ارتفعت في الهواء. لم ينطق أحد بكلمة؛ كانت أنفاسهم وحدها تصدح مع وقع الحديد على التراب. بين لحظة وأخرى، كان الأب يرفع رأسه إلى السماء، يتلو في قلبه دعاءً غامضًا لا صوت له، وكأنه يناجي القدر أن يصدّق نبوءة ابنه الراحل.

حين ظهر الخشب الغامق للتابوت تحت طبقات التراب، ارتجفت أيديهم. رفعوا الغطاء ببطء، والقلوب تكاد تخرج من صدورهم. وفي تلك اللحظة، توقف الزمن لحظة قصيرة، كأن الليل نفسه يترقّب ما سيُرى.

كان جسد أريان ممدّدًا في نعومةٍ صامتة، لكن الغريب أن حرارة جسدته لم تكن موتًا على الإطلاق . حين مدّ الأب يده إلى وجهه، وجد بشرته دافئة، كأن الحياة لم تفارقه بعد. لم تكن حرارة الوهم، بل دفء حقيقي، دفء يروي أن ما قاله الغريب الإفريقي عبر

رسالة الإنترنت لم يكن خيالًا. !!

شهق الأخ الأصغر، وارتعشت ركبتاه :

= أبي... أتشعر بما أشعر؟

أطرق الأب بعينين دامعتين، ثم قال بنبرةٍ تكسوها حكمة سنين من الخبرة و الإيمان :

= قلبه ينبض لكن بشكل بطيء و ضعيف بالكاد يبقيه حياً، يحتاج إلى صدمة حسية توقظه. أسلافنا كانوا يقولون : الروح العالقة لا تعود إلا إذا أُحرقت بجمرة الألم.

أخذ معولاً صغيراً حديدياً من حقيبته القديمة، وضعه في لهب المصباح حتى احمرّ كالجمرة. اقترب من يد أريان المرتخية، وأبناؤه يحدّقون في المشهد بأنفاس محبوسة، بين خوفٍ من قتل من يحبونه وبين أملٍ لا يُحتمل وزنه. ثم وضع المعول على جلده.

صرخة مدوّية شقّت الليل. جسد أريان انتفض كمن يُنتزع من قاع بحرٍ مظلم، عيناه انفتحتا فجأة، وصوته تمزّق من أعماقه :

= آاااااه !!

انهار الأب والأخوة حوله، دموعهم انهمرت كأمطار موسمية، والصدمة تحوّلت إلى فرحٍ هستيري.

في المقبرة التي كانت قبل قليل وادي موت، ارتفعت أصوات الأهازيج الشعبية والصلوات الدينية، كأن العائلة تحتفل بقيامةٍ صغيرة. عانقوه واحدًا تلو الآخر، وهم يرددون كلمات الشكر

والامتنان، لا يدرون إن كانوا يخاطبون الله، أم السماء، أم الغريب البعيد الذي أرسل رسالة في مناسبة غامضة و توقيت حرج.

وفي مكان آخر من القرية، عندما وصل الخبر إلى إيشا، خطيبة أريان، سقطت مغشيًّا عليها من هول المفاجأة. حين أفاقت، كان جسدها يهتز من البكاء، دموعها تسيل بغزارة كأنها تحاول غسل الفاصل القصير بين الموت والحياة. لم تتمالك نفسها، ركضت إلى بيت عائلته، وهناك احتضنته وهي تبكي بلا توقف، تردد اسمه كأنها تستعيده من براثن الغياب : أريان... أريان...

أما أريان نفسه، فكان يهز رأسه بدهشة. عيناه الزائغتان تومضان بغرابة، كأنه لا يزال عالقًا بين عالمين .. احتضنهم جميعًا بذراعين مرتجفتين، وقلبه المشوش يحاول استيعاب الفارق بين الرؤيا التي عاشها في مقصورة زجاجية في عالمٍ آخر منذ قليل وبين هذا الطوفان من الأحضان والأهازيج. لقد عاد إلى الحياة، لكن بذهنٍ لا يزال يترنّح على حافة الغيب، بينما العائلة تحتفل بمعجزةٍ ستظل حكاية يتوارثها الأبناء جيلاً بعد جيل.

****

في الأيام التي تلت عودته من القبر، كان أريان يعيش ازدواجًا مربكًا بين جسده الحي وروحه المرتجفة. كل من حوله يغمرونه بالحب، يباركونه ويغنون لمعجزته، لكنه حين يختلي بنفسه، يغرق في بحر من الأسئلة التي لا تهدأ. لقد عاش تجربة حسية بأدق تفاصيلها : المقصورة الزجاجية، البياض الجليدي الممتد بلا حدود، السكون المهيب الذي يشبه الأبدية، والإحساس الغريب بأنه معلق بين قرارين : البقاء أو الرحيل. كل ذلك ما زال مطبوعًا في ذاكرته بوضوح أشد من وضوح حلم عابر. ومع ذلك، أين الدليل؟ لا أثر

في جسده يدل على تلك المقصورة، لا شاهد خارجي يؤكد أنه كان فعلًا على أعتاب عالم آخر .. لقد عاد من هنالك أعزلاً بلا أي دليل يتسلح به للإقناع نفسه أولاً ثم إقناع من حوله تالياً .. لذا فقد تردد كثيراً قبل أن يخبر أي شخص مهما كان قريباً منه بتجربته الغريبة في العالم الآخر ..

أحيانًا كان يفيق ليلًا، يضع يده على قلبه كمن يريد أن يتأكد أن النبض هنا لا هناك. يسأل نفسه : أكانت تلك مجرد هلوسة دماغٍ يختنق بالأكسجين؟ أم أنها حقيقة وهبته السماء فرصة أن يتذوقها ليعرف معنى العودة؟

كلما تذكر الصرخة التي أطلقها حين حرق المعول يده، ازدادت حيرته : لو كان حقاً في عالم آخر إذن فقد كان ميتاً بالفعل، فمن أين جاء ذلك الشعور المزدوج، شعور الميت الذي يطل من وراء زجاج، والحي الذي يعود إلى صخب الحياة؟

ظل أريان يتأرجح بين الإيمان والشك، بين نور التجربة وغموض العقل. وكأن حياته الجديدة لم تُعَد إليه ليعيشها بسلام، بل ليظل يبحث عن يقينٍ مفقود، يقين لا يبرهن عليه دليل ملموس، لكنه يسكن في أعمق أعماق القلب.

حالة أريان ليست يتيمة و لا جديدة على فلسفة الحياة ، فالتاريخ يحب أن يختبر هشاشة اليقين البشري باستمرار، إذ يروي بين صفحاته قصصًا كثيرة تشبه الكوابيس : بشر حُكم عليهم بالموت قبل أوانه، فدُفنوا أحياء، ثم عادوا ليشهدوا بأن الحياة لا تُقاس دائمًا بما تراه العيون أو تسمعه السماعات الطبية.

في القرن السابع عشر، في أوروبا، كانت أخبار الموتى العائدين من قبورهم تُكتب على هوامش الصحف، عن رجال ونساء ظنّ الأطباء أن قلوبهم توقفت، فإذا بهم يستيقظون في ظلام التوابيت، يصرخون ويخدشون الخشب بأظافرهم. بل إن بعض القبور التي

فُتحت لاحقًا كُشف فيها عن أجساد مشوهة وصدور منثلمة، دليلاً على صراع أخير ضد الدفن الحي.

وتحكي كتب الطب الشرعي عن **مارغريت ديلاكروا** في فرنسا، التي أفاقت وهي في كفنها قبل أن توارى الثرى بدقائق، وسط ذهول المشيعين.

وفي القرن التاسع عشر، في أمريكا، وُثّقت حالات عدة جعلت المجتمعات تخترع توابيت أمان مزودة بأجراسٍ صغيرة؛ فإذا استيقظ الميت المزعوم، شدّ الحبل فيرن الجرس فوق الأرض ليعلم الأحياء أنه لم يرحل بعد.

حتى في العصر الحديث و مع بلوغ الطب درجة متطورة من الكفاءة ، تم توثيق حالات كثيرة و في بلدان متقدمة تم تشخيصها بالموت وفق البروتوكولات المعترف بها عالمياً ، لكنها عادت للحياة على نحوٍ غير مفسّر ..

هذه الحكايات، وإن حملت قسوة مخيفة، تحمل أيضًا لغزًا ساحرًا : أن الموت قد لا يكون دائمًا النقطة الأخيرة، بل أحيانًا خطًا غامضًا يتأرجح بين خطأ الطب و قدر السماء. هي شهاداتٌ تحفر في وجدان الإنسان فكرة واحدة مزلزلة : أننا نعيش على خيطٍ رفيع، وأن الحياة قد تظل تتشبث بنا حتى ونحن على حافة التراب .. بل ربما – كما حدث مع أريان – تمنحنا فرصة العيش على حافة بين عالمين ..

نحن كبشر عاديين ننغمس في الواقع الملموس حتى الثمالة لدرجة تجعلنا نتعامى عن الغيبيات غير المحسوسة من حولنا.. لكن هذا لا ينفي على الإطلاق وجودها .. و لعلها بين حين و آخر بحاجة لعقل متأجج منفلت من عقاله سواء بشكل طبيعي أو حتى مرضي كعقل صديقنا روتا بينغوا كي يلقي الضوء عليها من جديد ، فيذكرنا

بالحقيقة المغيبة : كما أنّ الكائنات الدقيقة موجودة في كل مكان من حولنا دون أن نراها ، فلعل كائنات أكبر بكثير موجودة أيضاً في عالمنا أو ربما في عالم آخر و لا نارها بآليات نجهلها .. فالبصر ليس قاضياً عادلاً على الدوام ، و السراب الذي يخون عيوننا أكبر دليل على اختلال ميزان البصر في مناسبات كثيرة ..

بعض أسرار الحياة بحاجة للمسة سريالية حالمة كي تتجلى أمامنا بوضوح .. قد تكون عبر طقس فودو ، أو ربما لوح ويجا ، أو جلسة استحضار أرواح .. ربما كل هذه الوسائل و غيرها لا تختلف عن **حجر رشيد** الذي اكتشفه الملازم الفرنسي بيير فرانسوا بوشار و ترجمه العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبليون ففتح لنا بوابة فهم اللغة الهيروغليفية المصرية الغامضة .. لعل كل ذلك مجرد بوابات أخرى مماثلة لفهم عالم الماورائيات و الغيبيات التي نجهلها حتى هذا اليوم .. لذا الأجدر بنا أن نقول :

(هذا ممكن .. لا أدري بالضبط)

بدلاً من القول :

(هذه خرافة .. و أنا أجزم بذلك)

متى تقرع الأجراس ؟

الهند / كالكوتا

2077 م ..

بعد ليالٍ طويلة من الأرق والشكوك، جلس أريان في غرفته كمن يحاكم نفسه أمام مرآة لا تكذب. لقد قلّب التجربة في رأسه مئات المرات، فلم يجد دليلًا واحدًا ملموسًا على ما عاشه في المقصورة الزجاجية. لا أثر، لا شاهد، لا بصمة سوى ذاكرة تتوهج في أعماقه. لكن خيطًا واحدًا ظل يلمع مثل نجمٍ بعيد: ذلك الصوت الأنثوي الذي همس له باسمٍ غريب : **حي بن يقظان**. وكيف لمح إليه بأن هذه الحكاية القديمة تحمل مفتاحًا لفهم ما جرى مع صاحبة الصوت.

ثم عاد إلى العبارة الثانية التي ما زالت ترن في عقله : **النسبة الذهبية ستدلك على زمن النهاية**. فكرة مبهمة، لكنها أشبه بشيفرة تركتها له السماء. كيف يمكن لعلاقة رياضية بين خطوط وأشكال أن تخبره متى ينتهي العالم؟ السؤال كان كاللهيب، يؤجج قلقه لكنه أيضًا قد ينير الطريق له ...

هناك، عند منتصف الليل، شد أريان قبضته كمن يبرم عهدًا مع نفسه : إن لم يكن في التجربة دليل خارجي، فسأتبع الخيط الوحيد الذي تركته الروح لي. سأقرأ، أبحث، أفتش عن حي بن يقظان، وعن أسرار النسبة الذهبية... حتى أصل إلى آخر هذا الطريق، مهما كانت نهايته.

فتح حاسوبه و بدأ يجمع معلومات عن تلك الأسطورة فكانت نتيجة بحثه عبارة عن قصة غريبة و مثيرة للخيال و الأسئلة لأبعد الحدود ، بدأ القراءة بحماسة و ترقب : (تبدأ أسطورة حي بن يقظان في جزيرة معزولة، حيث نشأ هذا الطفل وحيدًا، بلا معلم، بلا أهل، سوى الطبيعة نفسها التي كانت تربيه بصمتها المتناغم. كان صدى

الأمواج وحفيف الأشجار، وغناء الطيور، معلمه الأول، وكانت كل لحظة في عزلة الجزيرة درسًا في الحياة والوجود. هذه القصة لم تكن مجرد حكاية أطفال أو أسطورة شفهية، بل رحلة فلسفية عميقة، تساءل فيها الإنسان عن طبيعته، عن علاقته بالكون، وبالموجد الأعلى الذي يرشده.

وقد شارك في صياغتها وإعادة بنائها عدد من أعظم الفلاسفة والأدباء العرب والمسلمين. يقول المؤرخون إن الفيلسوف **ابن سينا** كتب أول نسخة من قصة حي بن يقظان أثناء سجنه، حيث كانت التجربة الفردية والقسرية للسجن منطلقًا للتأمل في النفس والوجود، في محاولة لتعليم الإنسان نفسه بنفسه. لم تتوقف القصة عند هذا الحد؛ إذ أعادها الشيخ **شهاب الدين السهروردي**، فمزج بين الحكمة الفلسفية والتأمل الروحي، ليضيف بعدًا صوفيًا للأحداث.

ثم جاء الفيلسوف الأندلسي **ابن طفيل**، الذي أعاد بناء الرواية بأسلوب أدبي غني، وأعطاها عمقها الشهير، فالتصقت القصة باسمه حتى يومنا هذا. وبعده، أضاف **ابن النفيس** لمسته الخاصة، محافظة على روح البحث عن المعرفة والوجود، وموسعًا في التأملات الفلسفية حول الإنسان وعلاقته بالموجود الأعلى.

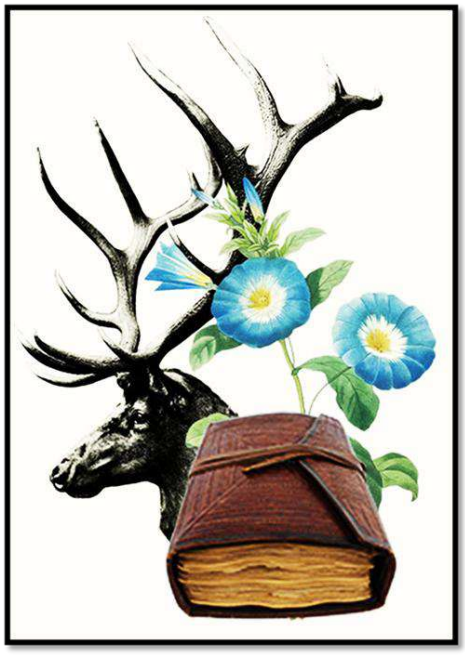

كان لهذه الرواية أثر بعيد المدى على الفكر العالمي. فقد ألهمت الفيلسوف الإنجليزي **جون لوك** الذي كتب كتابه الشهير عن العقل كصفحة بيضاء، خالية من القواعد والمعوقات الموروثة، مستلهماً من فكرة حي بن يقظان عن الإنسان الذي يعلم نفسه بنفسه. هذه الفكرة الثورية أثرت بدورها في أجيال لاحقة من الفلاسفة، الذين رأوا في تجربة حي بن يقظان نموذجًا للحياة العقلية المستقلة، للحريّة الفكرية التي تتخطى القيود الاجتماعية والدينية.

وعلاوة على ذلك، أثرت الرواية على الأدب العالمي، فكانت أساسًا لعديد من الأعمال الأدبية والفكرية. يمكن ملاحظة صدى أحداثها وفكرها في كتاب (عقيدة القس من جبل السافوا) للفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو**، الذي ناقش طبيعة الإنسان وحريته في مواجهة المجتمع. كما تبرز أصداء الرواية في كتاب (روبنسون كروزو) **لدانييل ديفو**، حيث يجد البطل نفسه وحيدًا على جزيرة نائية، مضطرًا للاعتماد على ذاته وفهم الطبيعة حوله. وحتى قصص مثل ماوكلي فتى الأدغال وطرزان ..

التي تتناول سلوك الإنسان عند العيش في عزلة، يمكن اعتبارها امتدادًا أدبيًا للفكرة الجوهرية التي حملتها قصة حي بن يقظان : الإنسان يعلم نفسه ويصقل طبيعته وفكره عبر التجربة والمواجهة المباشرة مع العالم.

ما يجعل حي بن يقظان أكثر من مجرد قصة فلسفية هو تعمقه في تصور الإنسان ككائن قادر على التعلم والاكتشاف دون تعليم مباشر. الطفل الذي نما وحيدًا على الجزيرة، استطاع أن يتجاوز قيود المجتمع، ويمتلك وعيًا متكاملًا بطبيعة الأشياء، وبخالقها، وبالكون الذي يحيا فيه. كل مرحلة من مراحل حياته كانت تجربة فلسفية قائمة بذاتها : من إدراكه الجسدي والحميمي للحياة عبر الرعاية التي تلقاها من الطبيعة، إلى اكتشافه للمعرفة والعقلانية، ثم الاستنتاجات الروحية التي أدركها عن النفس والموجِد الأعلى.

إن تأثير هذه الرواية يتجاوز الحدود الجغرافية والزمنية. فهي ليست مجرد قصة عن البقاء في عزلة، بل هي مرآة للفكر البشري، وعظة عن ضرورة التعليم الذاتي، وعن البحث المستمر عن الحقيقة. ومن خلالها، يرى القارئ كيف يمكن للعزلة أن تصبح حاضنة للوعي والفهم، وكيف أن التجربة المباشرة، حتى في أقصى درجات الغربة والانعزال، قد تقود الإنسان إلى معرفة ذاته وربطها بالكون العظيم.

وبين صفحات هذه الرواية، يجد القارئ نفسه أمام تساؤلات وجودية لا تزال حية حتى اليوم : ما هو الإنسان؟ ما هي طبيعته؟ وكيف يمكنه أن يفهم الكون والموجد الأعلى دون أن يُملأ ذهنه بقيود مسبقة؟ وهكذا، تبقى قصة حي بن يقظان مرجعًا خالدًا للفكر والفلسفة، نهرًا هادرًا يربط بين الشرق والغرب، بين الماضي والحاضر، بين الخيال والواقع، وبين الفرد والكون.)

تابع أريان القراءة بشغف فانتقل إلى مضمون الرواية :

(إن ولادة حي بن يقظان تبقى لغزًا عميقًا، يتردّد صداه في أساطير العصور القديمة، فهو لا يشبه ولادة أي إنسان عرفه التاريخ. بعض الروايات تقول إنه وُلد لأبوين بشريين تركاه على جزيرة الواق واق، بينما تقول أخرى إنه تشكّل من التراب بذاته، كطفل خلقه الكون من صمت الأرض ونفحة السماء، وهذه الرواية تحديدًا هي التي لاقت قبولاً شعبياً كبيراً .

وفي صباح الجزيرة الأول، حين كان النسيم يلعب بأوراق الأشجار، سمع حي بن يقظان صوت بكاء خافت. كانت ظبية تبحث عن ابنها الضائع، وفجأة تعثرت في ذلك الطفل الوليد، فأرضعته، حضنته، ودفنته بعينيها الحانيتين في حضنها كأنها الأم الحقيقية. كان هذا اللقاء الأول بين الحياة والوعي، بين البراءة والطبيعة، وقد شكّل المرحلة الأولى من رحلة حي بن يقظان الطويلة نحو المعرفة والفهم.

كبر حي محاطًا برعاية الظبية، يتعلم من حركاتها، من صمتها ومن غرابة أصوات الغابة. كانت كل لحظة تجربة حسية، وكل يوم درسًا في الحياة، حتى بلغ سن السابعة، حيث تنتهي **المرحلة الأولى، مرحلة الحضانة الأولى،** ويبدأ الطفل المدهش في مواجهة الحقيقة الأشد قسوة : وفاة الظبية الأم التي ربّته.

حين ماتت الظبية، جلس حي أمام جسدها، يفتح فمه في صمتٍ محموم، ثمّ شرّح الجسد بعينيه الفضولية، باحثًا عن سر الحياة والموت. كانت هذه **المرحلة الثانية من حياته، مرحلة الاكتشاف** عبر الحواس والتجربة المباشرة. تعلّم أن المعرفة لا تأتي من الكتب ولا من الأقوال، بل من لمس الأشياء وفهمها بنفسه، من مراقبة النسيج الدقيق للحياة والموت، ومن سؤال كل جزء من الكائن عن جوهره.

ثم جاءت **المرحلة الثالثة، اكتشاف النار**. لم تكن مجرد شعلة، بل كانت رمزًا للسيطرة على الطبيعة، للوعي الذي يضيء الظلام الداخلي والخارجي. جلس حي لساعات يتأمل اللهب، يراقب كيف يرتفع، كيف يذوب ويشتعل، وكيف يمكن للحرارة والضوء أن يغيّرا كل شيء حوله. كان أول درس حقيقي عن القوة والمعرفة، عن القدرة على التأثير في العالم المادي.

المرحلة الرابعة حملت معه دراسة جميع الأجسام المحيطة به، من حبات الرمل إلى الطيور التي تحلق في السماء، من الصخور إلى الماء. فهم الوحدة والكثرة، تشابه المادة واختلاف الصور، واستوعب أن الكائنات ليست مجرد أشكال بل حكايات من روح ووجود. حينها جاءه أول شعور بالوحدة مع الكون، وشعور بالمسؤولية تجاه الفهم الذي اكتسبه وحده.

وفي أيامه التالية، جاء رجل من جزيرة مجاورة اسمه **أبسال**، ليبدأ معه سلسلة نقاشات حول الطبيعة والأخلاق والله. صُدم أبسال حين اكتشف أن حي بن يقظان قد تعلم كل شيء بدون معلم، مجرد مراقبة وتجربة وتأمل. حاول حي نقل فهمه العقلاني للأشياء إلى أهل جزيرة أبسال، لكنه واجه الإحباط، إذ أدرك أن معظم البشر تحركهم الأنانية والجشع والعواطف، وأن العقل والضمير قليلًا ما يُستجاب لهما. عاد حي إلى جزيرته، وأصبح أبسال تلميذه

المخلص، يرافقه في رحلته الفكرية والروحية.

ثم جاءته **المرحلة الخامسة، اكتشاف الفضاء.** لم يعد يكتفي برصد النجوم، بل بدأ يفهم عمر الكون، نشأته، وآلياته الدقيقة. أدرك أن الكون أقدم من الخيال، وأن حياته الصغيرة مجرد غبار في صرح الزمن اللامتناهي.

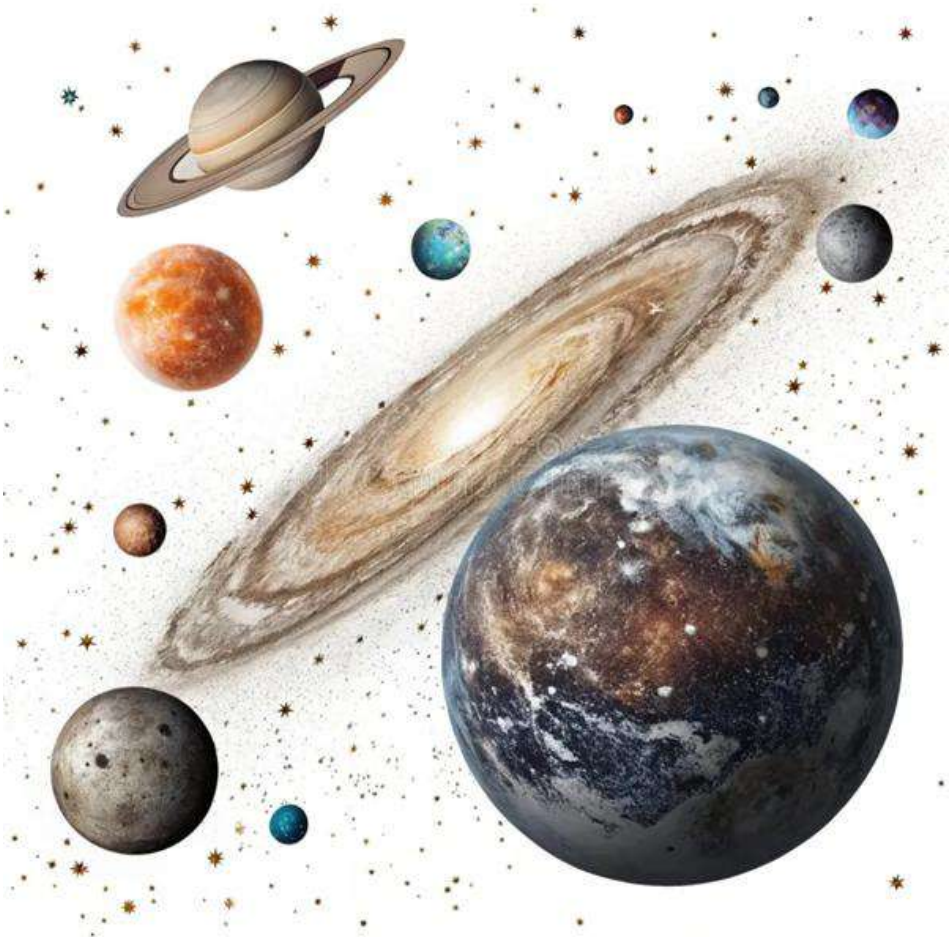

وعند بلوغه الخامسة والثلاثين، بدأ **المرحلة السادسة، مرحلة الاستنتاج بعد التفكير العميق،** حيث توصل إلى أن النفس منفصلة عن الجسد، وأن الروح توق إلى **الموجِد الأعلى الواجب الوجود،** وأن معرفته لا تكتمل إلا بتفهم هذا الرابط الأبدي بين الكائن وخالقه.

أما **المرحلة السابعة، فكانت قمة سعيه: أن يجد سعادته في ديمومة المشاهدة لهذا الموجِد الواجب الوجود.** فهم أن الحياة

ليست مجرد بقاء، بل إدراك مستمر، تأمل دائم، امتنان متواصل لكل لحظة يمنحها الخالق. كل تفاصيل وجوده، كل شعاع نور، كل نسمة هواء، أصبحت جزءًا من هذا الفهم، من هذا الانصهار بين المخلوق والموجد.

وهكذا، أصبح حي بن يقظان أكثر من أسطورة، صار نموذجًا لحياة يقظة ومستنيرة، لحياة تعيش البحث عن الحقيقة في كل لحظة، وتفهم أن السعادة الحقيقية ليست في المال أو الشهرة، بل في إدراك الكون ووعي النفس وعلاقة الإنسان بالموجِد الذي رسم له هذا الطريق. وكأن السماء نفسها، ، صممت له خيوط حياته على أساس هذه الحكمة، لتبقى أسطورته صدى خالدًا بين العقول والقلوب، بين الزمان والمكان، بين الموت والحياة.)

أنهى أريان القراءة ، و هنا بدأ الضباب يتبدد حول عقله .. رأى الحقيقة تسطع كالشمس في سماء الكونين الأكبر و الأصغر .. رأى الكون الأكبر ينفجر قبل الوجود بانفجار عظيم .. هو الانفجار الحقيقي .. ثم يتشكل الكون الأكبر ، يتوسع ، تتشكل المجرات و النجوم و الكواكب .. و على أحد هذه الكواكب نشأ حي بن يقظان .. أو بالأحرى أسطورة أخرى ضمنت حياتها في أسطورته .. ذاك الصوت الأنثوي الذي حاوره .. شجرة السماء .. الزيتونة اللاشرقية و اللاغربية .. رآها تمر بتلك المراحل السبعة التي مر بها حي بن يقظان عبر سلسلة من ملايين السنين لا معنى لها بغياب الزمن وقتئذٍ ..

تراءت أمام أعين أريان عبارات شفافة في الهواء تشرح له ما جرى وفق تسلسل زمني للأحداث :

في البدء كان الانفجار ..

ثم كانت الكيمياء ..

ثم تنفست الكيمياء فكانت الخلية ..

ثم تطورت الخلية فأصبحت كائناً ..

ثم تطور العقل فوجد الوعي و ولدت المشاعر و الزمن ..

ثم تطور العقل اكثر فبدأ يكتشف الكون ..

ثم تطور العقل اكثر فأكثر حتى اكتشف كامل الكون

و روّضه كحصان بريّ ..

ثم استدار الكون كخاتم ذهبيّ يزيّن إصبعها ..

و اليوم نحن نمشي على خطاها ..

من هو ذلك الكون الأكبر الذي خلق شجرة السماء .. إنه **الله** .. الأول منذ الأزل بلا بداية .. الآخر إلى الأبد بلا نهاية .. الموجد الواجب الوجود الذي وصلت إليه شجرة السماء في نهاية رحلتها الملحمية كفراشة خرجت من شرنقته ..

ارتجف جسده .. لكن الوقت لم يكن ليسعفه كي يعيش اللحظة حتى النهاية ، فما يزال أمامه عمل كثير .. انتقل مباشرةً إلى النسبة الذهبية فهي ستفتح له باب النهاية كما وعدته شجرة السماء ..

أخذ يجمع المعلومات عن النسبة فوجدها عبارة عن ثابت رياضي قيمته تقريباً **1.618** نحصل عليه بتقسيم قطعة مستقيمة إلى قسمين **A** و **B** بحيث تكون نسبة الطول الكلي **A + B** إلى القطعة الأطول **A**، مساوياً لنسبة طول القطعة الأطول **A** إلى القطعة الأقصر **B** ..

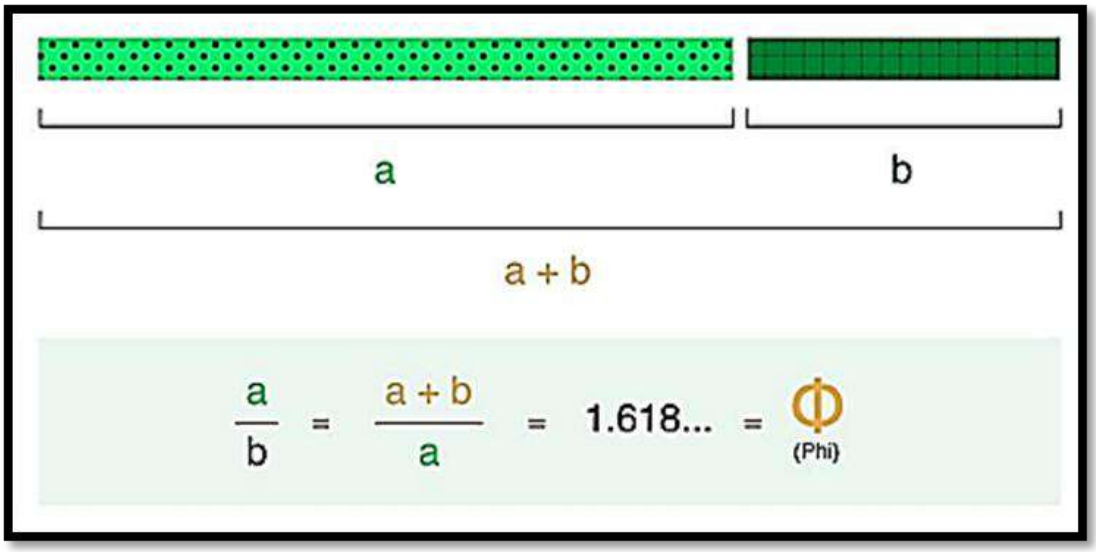

و عادةً ما يتمّ تجسيد هذه النسبة المقّدسة بطريقتين شهيرتين :
المستطيل الذهبي : الذي يقسم إلى مربع مع مستطيل ذهبي آخر الذي يقسم بدوره إلى مربع آخر مع مستطيل ذهبي جديد و هكذا بحيث تكون النسبة بين هذه الأشكال الهندسية المتتالية هي فاي ..

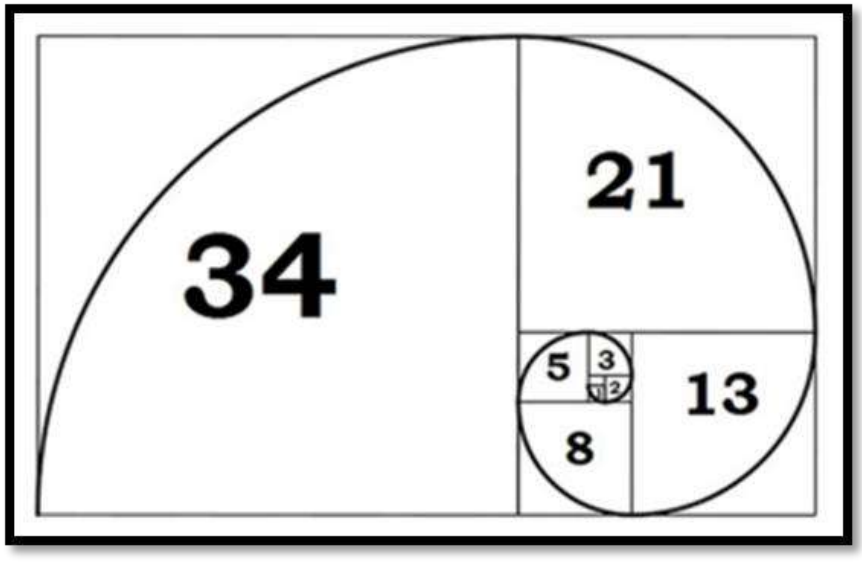

أو **متوالية فيبوناتشي الرياضية** : هي عبارة عن سلسلة من تتابع أرقام مرتبة بحيث كل رقم يكون نتيجة جمع الرقمين السابقين (**0 ،1 ، 1 ،2 ، 3 ، 5 ، 8 ، 13 ، 21 ...)** ..

و قد وضعها عالم الرياضيات الإيطالي ليوناردو فيبوناتشي في القرن **13** و هو نفس العالم الذي أدخل الأرقام العربية إلى الثقافة اللاتينية و ما تزال مستخدمة في الغرب حتى اليوم و تعرف خطأ بأنها الأرقام الأجنبية أما الأرقام العربية الحالية فهي هندية ، أما الغريب في هذه المتوالية أن قسمة كل رقم فيها على الرقم الذي يسبقه هو النسبة فاي دائما فمثلاً **8** تقسيم **5** يساوي **1.618** وهكذا ..

و قرأ أريان أيضاً أن النسبة فاي تحكم كل شيء في هذا الكون حرفياً ، بدءاً من الذّرة و انتهاءً بالمجرّة .. منها ما تمكّن البشر من كشفه لكن ما خفي كان أعظم ، فنجدها في **علوم الذرات و الجزيئات** ، حيث تبين أنّ النسبة فاي تلعب دوراً محوريّاً فيها ..

كما تحكم تلك النسبة **الظواهر الطبيعية** أيضاً كالأعاصير مثلاً ..

و نجدها في **تشريح الجسد البشري** ، في نسب أطوال أجزاء الجسد لبعضها البعض ، و في تركيب صيوان الأذن أو قوقعتها ، و في تركيب الجمجمة و الأسنان و الرحم و العين ، كذلك في بنية الصبغيات و **DNA** الخلايا و غيرها ..

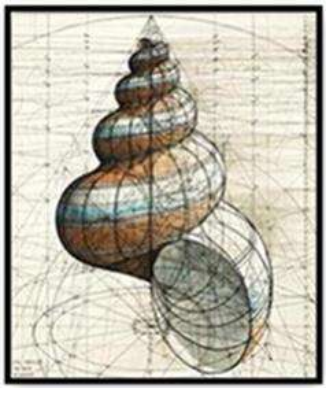

و أيضاً في **عالم الحيوان** ، نجد النسبة فاي في تركيب قوقعة الحلزون أو كائن نوتيلوس أو نجمة البحر أو النمل أو بيوت النحل أو الفراشات ... إلخ

و في **عالم النبات** ، فنجد أنّ عدد بتلات الأزهار تتبع أرقام متوالية فيبوناتشي حصراً ، كذلك حال تراتب بذور زهرة عبّاد الشمس ، و بنية أكواز الصنوبر ، و تفرع غصون الأشجار و عدد أوراقها .. إلخ

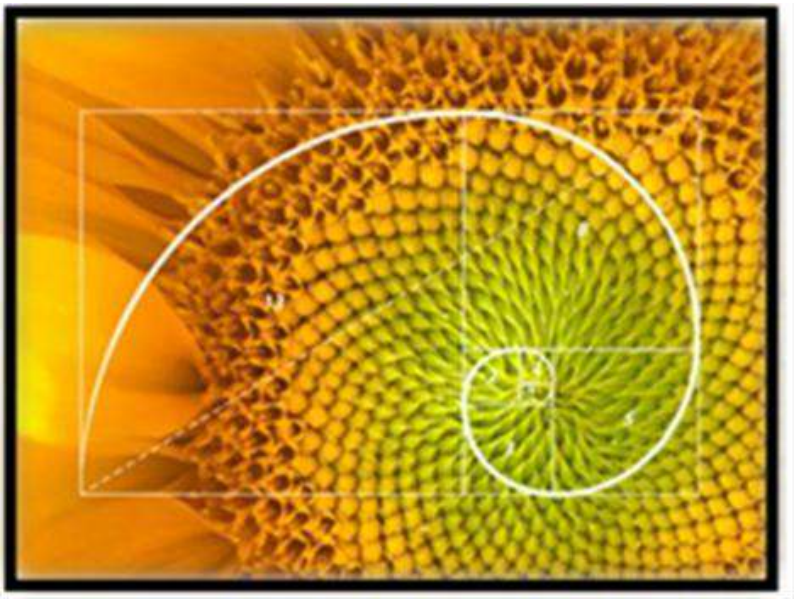

حتى كثير من الهياكل الأثرية و المعمارية بنيت اعتماداً على هذه النسبة كحال أهرامات الجيزة في مصر و أبي الهول ، و **جامع عقبة بن نافع** أقدم جامع في مدينة القيروان ، و المعابد الإغريقية

القديمة كحال **معبد البارثينون** القابع على قمّة **هضبة الأكروبوليس** في العاصمة اليونانية **أثينا** ..

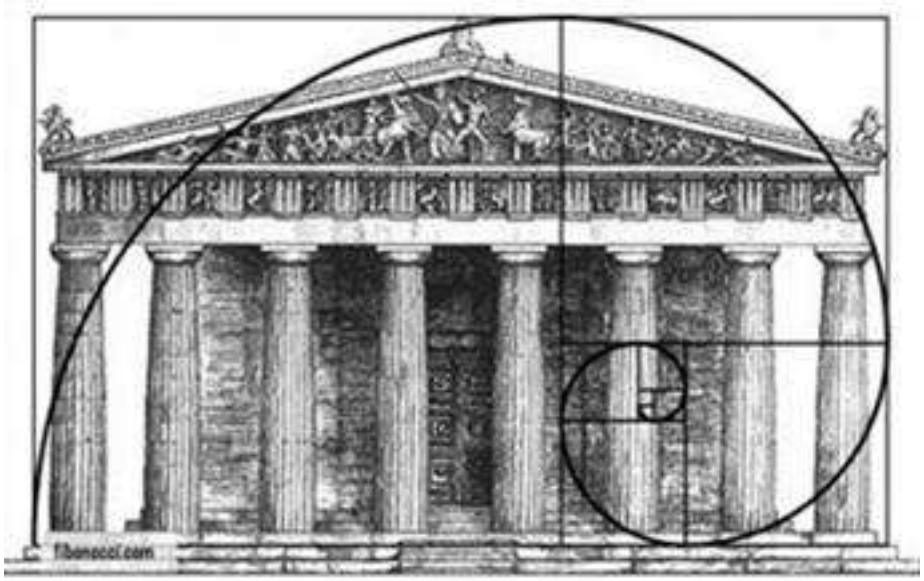

بل إن كثيراً من **الأعمال الفنية الخالدة** صممت على أساسها ، فنجد النسبة فاي في لوحة الموناليزا الشهيرة للفنان ليوناردو دافنشي و في أيقونة الرجل الفيتروني الشهيرة له أيضاً .. كذلك الحال في سمفونية بيتهوفن الشهيرة الخالدة .. حيث لحّنت على أساس هذه النسبة بطريقة ساحرة تأسر القلوب و تسحر العقول .. لتصبح أشهر سمفونية في التاريخ ..

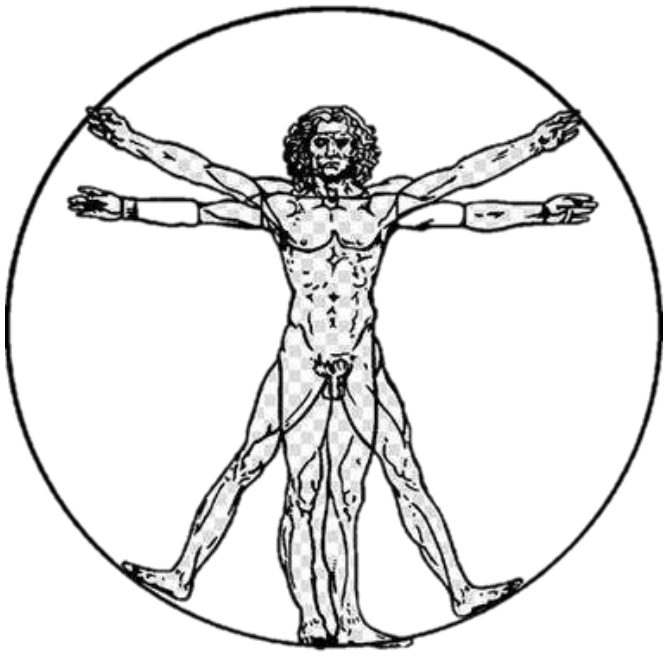

و عندما نبلغ الفضاء الكوني نجد بينة المجرات تتبع بحّد ذاتها هذه النسبة بدقّة غريبة ..

أحس أريان بشعور هائل من الرهبة يخيم على قلبه .. إن الكون برمته مصمم بالفعل وفق هذه النسبة .. إنها نسبة ذهبية بالفعل و إلهية بما لا يدع مجالاً للشك .. لكن ما علاقتها بتحديد نهاية الحياة البشرية.. تذكر كلام شجرة السماء ، لقد أوصته أن يضع ميلاد السيد المسيح كحدث فاصل في الحياة بين ما قبله و ما بعده كما هو عليه بالفعل (قبل الميلاد و بعد الميلاد) لكن ما معنى ذاك ؟

فجأ خطرت بباله فكرة غريبة فسرت كل شيء على نحو مثالي .. ماذا لو أن فترة الحياة البشرية على الأرض كزمن هي قطعة مستقيمة تبدأ مع آدم و حواء وبداية البشر و تنتهي بقيام الساعة ، ثم وضعنا ميلاد المسيح كنقطة ثابتة عليها ، عندها ستصبح عبارة عن قطعتين طويلة و قصيرة ، فإن كانت هذه النقطة تحقق النسبة الذهبية كما قرأ من قبل ، عندها سيحدد موعد نهاية الحياة البشرية بدقة .. هذا .. هذا مذهل !!

لكن أولاً عليه أن يحدد قيمة الفترة الزمنية منذ بدء الحياة بآدم و حواء حتى ميلاد المسيح كي يتمكن من تحديد النهاية لاحقاً .. فكيف يمكنه فعل ذلك ؟

لجأ إلى حاسوبه مجدداً و بحث عن قيمة تلك الفترة و سرعان ما عثر على مبتغاه .. عبر **تسلسل آشر الزمني** الذي وضع في القرن **17** عبر قراءة دقيقة و مدروسة للعهد القديم عند اليهود و أعمار الأنبياء فيه من قبل **جيمس أشر**، رئيس أساقفة أرماغ و رئيس أساقفة كل أيرلندا .. حيث توصل آشر إلى أن الفترة الزمنية بين

آدم و يسوع بناءً على تلك الأعمار هو تقريباً **4000** سنة أرضية ..

الآن يمكننا افتراض أنّ المدة الزمنية بين آدم و قيام الساعة هو كقطعة مستقيمة تقيس **X** و بما أن ميلاد السيد المسيح هام كما أخبرته شجرة السماء لأنه يأتي في نقطة من هذه القطعة تحقق النسبة الذهبية فاي ، فيمكننا بحسبة بسيطة أن نستنتج أن عدد السنوات من ميلاد السيد المسيح إلى قيام الساعة يحسب عن طريق تحديد قيمة **X** بالطريقة التالية **1.618** $\times$ **4000 = X =** **6472** سنة (لأنّ نسبة طول القطعة الكلية **X** و هو عمر الحياة البشرية على طول القطعة الكبرى منها و هو الفترة من آدم إلى السيد المسيح أي **4000** سنة يساوي النسبة الذهبية فاي **1.618** كما افترضنا .. و بالتالي يكون تاريخ قيام الساعة المقّدر هو **6472 – 4000 = 2472** من ميلاد السيد المسيح ، أي أنه تقريباً بعد قرنين و نصف من الزمن من الآن ..

تسمر أريان في مكانه للحظات ، هل هذا معقول ؟**!!** و فجأة تذكر صديقه الهندي المسلم **عبد العليم** ، لقد ذكر له حادثة إسلامية شهيرة عن نبيهم محمد رفع فيها إصبعين متجاورين في يده و قال : **أنا و الساعة كهاتين ..** أي أن بعثته كنبي ليست ببعيدة عن قيام الساعة ، عندما تقرع الأجراس فتوقظ الأجساد السماوية دفعة واحدة .. و كي يتأكد أكثر بحث في حاسوبه مجدداً عن فترة الحياة البشرية وفق العقيدة الإسلامية فوجد حديثاً آخر لنبيهم محمد يقول : **الدنيا جمعة من جمع الآخرة حوالي سبعة آلاف عام ..** و هذا ينسجم بدقة لا متناهية مع حساباته التي أجراها باستخدام الرياضيات و النسبة الذهبية الإلهية فاي ..

يا إلهي هل النهاية قريبة إلى هذه الدرجة ..؟**!!**

وضع أريان رأسه بين كفيه و غاص في النفكير .. لقد تأكد الآن أن تجربته في العالم الآخر كانت حقيقية .. فوصايا شجرة السماء أوصلته إلى نتائج مؤكدة مثيرة و غاية في الأهمية .. و هذ يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن تجربته تلك لم تكن موتاً وشيكاً و لا أحلاماً عبثية و لا ذهاناً نفسياً عقب الحادث أثر على تفكيره اللاواعي ..

لكن ... ماذا الآن ؟

هل يحتفظ بتجربته لنفسه ؟ أم يشاركها مع الآخرين ؟

حقيقة ، حلم ، أم مرض نفسي ؟

الهند / كالكوتا

2077 م ..

شعر أريان بعد تفكير مطول ، وقد عاد من تخوم الغيب، أنّ الصمت خيانة، وأنّ ما انكشف له لم يكن هبةً تخصه وحده، بل رسالةٌ من السماء، وواجبٌ عليه أن يُبلّغها .. كان يسأل نفسه كل مساء : لِمَ اختارته شجرة السماء دوناً عن سواه لتزيح عنه الحجب؟ ولمَ كُشف له سرّ العالم الآخر فيما غيره غارق في جهلٍ و ظلام ؟ لم يجد تفسيراً إلا أنه سفيرٌ صغير من نورٍ أكبر، وأنّ الحقائق لا تُستحقّ إلا إذا أُعلنت للآخرين.

جمع عائلته في دارهم الريفية المتواضعة، وأجلس والده على صدر المجلس و إلى جواره زوجته، و بمحاذاتهم أخوته الستة، و من حولهم عائلته الكبرى ، فيما جلست إيشا قريبة منه كعادتها، تتأمل وجهه بطمأنينةٍ لا تخلو من قلق. تنفّس عميقاً، ثم بدأ يروي. لم يتكلّم كطبيبٍ يسرد وقائع، بل كإنسانٍ عاين الغيب بعينيه. حكى لهم عن تلك المقصورة الزجاجية الكروية، عن سريرها الغريب، عن الجسد السماوي الذي استيقظ فيه، وعن الجهاز الكروي الذي دوّت منه كلمات الصوت الأنثوي. روى عن العالم الآخر، عن العوالم الافتراضية التي تذيب الحدود بين الواقع والخيال، عن البطاريق التي رآها في القطب الجنوبي وهو يرتجف برداً، وعن اللقاء الذي جمعه بغاندي على ضفاف الغانج. كانت كلماته تتوهج كأنها مشتعلة من الداخل، وكان صوته عميقاً، يخرج من تجاويف روحه لا من حنجرته.

ثم انتقل إلى الأبعد : حكى لهم عن الصوت الأنثوي الذي عرّف نفسه بشجرة السماء، الجذع الأول الذي تتفرع منه الأرواح

جميعها. أخبرهم أنّ هذا الكيان كشف له عن موعد نهاية العالم، ليس بلغة نبوءاتٍ أسطورية، بل بحسابٍ يجمع بين المعادلات الرياضية العميقة والرموز الدينية القديمة، وأنّ كل شيء يسير وفق توقيتٍ دقيق نحو انطفاء الكون الأصغر، ليعود إلى الحضن الأكبر. كانت عيناه تلمعان وهو ينطق بتلك الكلمات، كأنه ما زال يرى أمامه تلك اللوحة الكونية المتوهجة التي عرضتها عليه شجرة السماء.

لكن ما إن فرغ من كلامه حتى خيّم الصمت، صمت أثقل من الصخرة. تبادل الجمع النظرات، بعضهم كتم ضحكةً مُرتبكة، وآخرون أزاحوا وجوههم وكأنهم سمعوا هذياناً. قالت إحدى عماته :

= لقد خرجتَ لتوّك من تجربة موتٍ ودفن، ربما هو إجهاد نفسي أو أثر حُمّى، لا أكثر.

وقال خاله :

= نحن نحبك يا بني، لكن ما ترويه لا يدخل عقل إنسان.

لم يكن في أصواتهم قسوة، بل مزيج من شفقةٍ وريبة. لقد اعتبروا الأمر نتيجة صدمة، هلوسة عقلٍ أنهكته المناوبات والحادث والموت المؤقت.

حينها شعر أريان بشيءٍ من الحزن يغمره. لم يحزن على نفسه، بل على أنّ الحقيقة، مهما كانت مشرقة، تبدو للآخرين مجرّد خيالات و توهمات. لكنه، وسط هذا الخذلان، وجد في عيني والده نوراً آخر : كان الشيخ الفلاح يحدّق فيه بثبات، وعيناه تلمعان بفهمٍ صامت. قال بصوتٍ عميق :

= أصدقك يا بني. لقد عشتُ طويلاً على الأرض، وأعرف أنّ

التراب لا يقول الكلمة الأخيرة ، بل الروح هي من تفعل ..

ثم انحنت إيشا نحوه، قبضت على كفّه، وقالت دون تردد :

= أنا أصدقك... لم أشكّ فيك لحظة. كل ما قلته أنا أراه في عينيك قبل أن تنطقه.

عندها أدرك أريان أنّ التصديق ليس عدداً يُحصى، بل عمق يُغني. يكفي أن والده يؤمن، وأن إيشا تؤمن، فهما مرآة جذوره ومستقبله، وهما صدى رسالته في قلب العالم الأرضي. أما الآخرون، فسيأتي زمانهم حين تنكشف لهم الحجب كما انكشفت له. ومع ذلك، لم ينطفئ فيه واجب البلاغ، بل ازداد يقيناً أنّ الحقيقة، وإن ووجهت بالشك، تبقى أمانة في عنق من رآها.

لم يطل الأمر حتى خرجت حكاية أريان من الدائرة الضيقة للعائلة إلى ساحة القرية الرحبة، وكأن الأسرار كلما تخطّت اثنين، صارت قدراً أن تُروى، وإذا جاوزت الشفاه الأولى أصبحت اعترافاً علنياً لا مرد له. كان يكفي أن تفلت نصف كلمة من عم أو خالة، أو أن تُفسَّر همسة من جلسة، حتى تصبح الحكاية على ألسنة الناس، تتناقلها الحقول كما تتناقل الريح رائحة الزعفران في السوق.

شيئاً فشيئاً، غدت قصة أريان مادةً يومية للهمس في الأزقة الضيقة، وفي المجالس المظللة بأشجار المانجو، وعلى ضفاف السواقي حيث تجتمع النساء لغسل الثياب. قيل إن الطبيب قد فقد عقله بعد نجاته من حادثٍ كاد يودي بحياته، و أنه يتخيل عوالم وأصواتاً لا وجود لها. بعضهم همس بعبارات مشفقة : (صدمة الحادث آذت دماغه المسكين) ، ففي البيئات البسيطة يغدو المرض النفسي للأسف وصمة عار ، فيما ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك، فاتهموه بالجنون الصريح. ولم يكتف البعض بالهمس، بل تجرأوا

على نعته علناً بالمدّعي، حتى أن بعض كهنة القرية أشاروا إليه بالمجدّف الذي يعبث بالسماء ويمسّ أسرار الغيب. وما أن يمرّ في الطريق حتى تتبع خطاه ضحكات ساخرة، مكتومة حيناً، ومتفجرة أحياناً، تخز قلبه كإبر صغيرة لا تُرى.

لم يكن أريان غافلاً عن كل ذلك. كان يشعر بجرح يتسع في صدره كل يوم، ليس لأنه يخاف على سمعته، بل لأنه كان قد رأى بعينيه ما لا يريد الناس تصديقه. لقد تذوق طعم الحقيقة، والآن يُساق في عيون قريته ككاذب. كان حزنه عميقاً، لكنه لم ينكسر. ففي هدوئه الذي تشربه منذ طفولته، وجد القوة ليعيد ترتيب أوراقه. قال لنفسه بثقة : (*إن كلماتٍ تُقال في الهواء سرعان ما تذروها الرياح. وحده المكتوب هو ما يصمد، هو ما يتجاوز الأجيال والحدود. إذا أردت لحكايتي أن تُصدّق، فعلي أن أجعلها رواية حقيقية، كتاباً لا يمكن نكرانه بسهولة.*)

لذلك لم يخطئ أريان خطأ صديقنا **نايرا** في البيرو ، فقرر أن يحوّل جرحه إلى قلم. أن يصوغ تجربته في نصوص حيّة، تتجاوز حدود قريته الصغيرة لتطرق أبواب المدن الكبرى والعقول الواسعة. فهو يدرك أن عقول البسطاء، مهما أحبهم، لن يطيقوا حمل الحقائق الثقيلة التي كُشف عنها الحجاب. أما العقول المنفتحة، الباحثة عن المعنى، فستتلقف قصته بوعي أدقّ وعدلٍ أكبر. أراد أن يخاطب الفلاسفة والعلماء، القرّاء الذين تعوّدوا أن يزنوا الأفكار لا بالسخرية، بل بالبرهان.

وبين الحزن الذي يقطر من قلبه كلما عاد أدراجه بين نظرات قريته الساخرة، وبين الأمل الذي يشتعل في داخله كلما تخيّل كتابه مطبوعاً بين يدي قارئ لا يعرفه، عاش أريان مرحلة جديدة من رحلته : مرحلة الكتابة. لم يعد ضحية همسٍ أو ضحكة، بل كاتباً

يُعدّ نصاً قد يقلب الموازين. كان يعرف أن الطريق طويل، لكن داخله كان متيقناً أن الروايات الكبرى تبدأ غالباً من هامشٍ صغير، من قريةٍ تسخر، قبل أن تُدهش ..

صدرت رواية أريان أخيراً تحت عنوان :

(حدث في العالم الآخر)

كأنها اعترافٌ مكتوب بالدموع لا بالحبر، أشبه بوصية كبرى أكثر منها مجرد سرد لتجربة شخصية. منذ الصفحات الأولى، يشعر القارئ أنه أمام نصّ يتجاوز حدود السيرة الذاتية إلى فضاء الفلسفة والميتافيزيقا، حيث تُذوّب التجربة الفردية في نهر المعنى الكوني. الرواية تبدأ من حادث سير فجائي بدأ القدر به قصته ، ثم تلك اللحظة الحدّية التي وجد فيها أريان نفسه في مقصورة زجاجية معلّقة بين العدم والوجود، بين الموت الذي حسبه الجميع قد ابتلعه، والحياة التي عاد إليها فجأة كما لو أنه انبثق من رماد قديم.

في المقصورة، لم يكن أريان يواجه صدى نفسه فقط، بل كان يحاور صوتاً أنثوياً غامراً، صوتاً حمل ملامح شجرة السماء المقدّسة التي رفعت عنه الحجب وأطلعت روحه على أسرار لم يُتح للإنسان العادي أن يتذوّقها. الحوار بينه وبين الشجرة كان أكثر من كلمات؛ كان صراعاً بين الإدراك البشري وحدود اللغة، وبين رحابة العوالم الأخرى التي تفيض بالدهشة والاحتمالات. وقد سجّل أريان في روايته تلك اللحظات كما لو كان ينحت على صخر أزلي: حديث عن الجسد السماوي الذي يستيقظ حين يذوي الجسد الأرضي، وعن العوالم الافتراضية التي تتيح للروح أن تحيا بلا قيود، وعن المعنى العميق للوجود الذي ينفتح عندما يتلاشى وهم الحدود بين الواقع والخيال.

لكن الذروة التي جعلت الرواية تتجاوز كونها اعترافاً شخصياً إلى كونها نصاً إشكالياً هزّ ضمير القراء، هي ما دوّنه أريان عن توقيت نهاية العالم. فقد كتب أنه في اللحظة نفسها التي دفنه أهله فيها واعتقدوا أنه غادر بلا عودة، أُعلن له بالحسابات الرياضية والدينية معاً زمن أفول الكون الأصغر الذي نحيا فيه. تلك المفارقة جعلت القارئ يعيش رعباً وافتتاناً معاً : كيف يمكن للإنسان أن يكون تحت التراب، وفي اللحظة ذاتها متلقياً رسالة عن مصير الأرض والنجوم؟ هنا تحولت الرواية إلى سؤال فلسفي متفجر : *هل نحن حقاً نحيا في عالم مكتمل، أم أننا مجرّد هوامش في نصّ أكبر يُكتب في مكان آخر؟*

في خاتمة كتابه ، لم يقدّم أريان برهاناً رياضياً يُطمئن العقول، بل قدّم تجربة وجودية تقلبها على وجوهها. ترك القارئ بين دمعٍ صامت ودهشةٍ تقطر من الحروف : لقد أراد أن يقول إن ما يحدث للإنسان في أقصى لحظة هشاشة، لحظة الموت والعودة، قد يكون أعظم من كل نظريات العلم والفلسفة. أراد أن يهمس أن هناك سرّاً يتجاوز اللغة نفسها، وأن ما يظنه الناس نهاية قد يكون بداية أخرى.

وهكذا، خرجت روايته من ضيق القبر الذي دفن فيه جسده يوماً، إلى فسحة الكتب التي لا تُدفن، بل تبقى تسافر من عقلٍ إلى آخر، و من زمن لما يليه . كأنها نفسها مقصورة زجاجية جديدة، عالقة بين الموت والحياة، بين السؤال والجواب، بين الأرض والسماء.

انتشر كتابه كما تنتشر النار في هشيم عطشٍ إلى النار. لم يكد يمضي وقت طويل على صدوره حتى بدأت المقالات النقدية تتهادى إلى الصحف والمجلات، بعضها يفيض بالدهشة، وبعضها يتوشّح بالإيمان العميق بأن ما رواه أريان لم يكن وهماً ولا تخيّلاً

أدبياً، بل تجربة استثنائية حقيقية تتماشى مع المنطق الديني و العلمي. لقد انقلبت الموازين : من كان يُتهم بالجنون بالأمس صار اليوم يُحتفى به بوصفه شاهداً اختارته السماء لتكشف عبره أسرارها، سفيراً بين عالمين، وجسراً بين الأرضي والسرمدي.

الناقد الذي يحمل أدوات العلم وجد في صفحات الرواية إشارات عميقة إلى النسبية واللانهاية ونظرية العوالم المتوازية، فيما وجد رجل الدين أن النص نفسه لا يخرج عن جوهر الوحي وأصداء الكتب المقدسة. وحين التقى العلم والدين في قراءة واحدة، سقطت آخر الشبهات؛ فحين يتساند العقل والإيمان، لا غالب لهما.

أما القرية التي كانت تتهامس من قبل باتهامات جارحة، فقد تبدلت وجوه أهلها شيئاً فشيئاً. صاروا حين يمر أريان لا يضحكون، بل يلقون التحية بخشوع خفي، كأنهم يسلّمون على من ارتشف من كأس الغيب جرعة لم تُتح لهم. لقد غيّر كتابه نظرتهم إليه، وأعاد إلى قلبه الطمأنينة : فما عاد منفياً بين أهله، بل غدا شاهداً يذكّرهم أن الحقيقة ليست حكراً على أحد، وأن السماء قد تفتح بابها عبر أي روح تصطفيها، ولو كانت في نظرهم مجرد شاب بسيط من قريتهم.

لقد وجد كتابه مكاناً له بين يدي البروفيسور **سيكويا** المتيم بالروح و ألغازها و غموضها و وجد في الروح القدس ضالته ، كما وجد نفسه بين يدي الكاتب الشهير **برهان عبد القدوس** الذي أكملت تجربة أريان و قصته نظرته الأخيرة عن الروح كما قصها على حفيدته **فاطمة** .. و أصبح الكتاب أيضاً مادة دسمة لحلقة على قناة **جوليان** على اليوتيوب حصدت ملايين المشاهدات و الإعجابات ..

****

كان النهار يتلألأ ببهجة غير مألوفة، كأن السماء نفسها دعيت لتشهد الحدث. تحت شجرة الأراك العتيقة، حيث احتضن التراب جسد أريان يوم ودّعه الجميع بالبكاء، وقف الآن حيّاً يُزف إلى عروسه إيشا. لم يكن المكان مجرد ساحة زفاف، بل مسرحاً لقيامةٍ رمزية؛ هنا دُفن حيّاً، ومن هنا وُلد من جديد.

ارتدى أريان حلّته البيضاء التي تعكس نقاء قلبه، وعينا إيشا تلمعان بدموع فرح امتزجت بذكريات ألم كاد يفصلهما إلى الأبد. تبادلا النظرات كما يتبادل عاشقان وعداً أزلياً، فيما تعانقت أصوات الطبول وأهازيج النساء مع خفقان الأرواح التي حضرت لا لتشهد زفافاً عادياً، بل لتلمس معجزةً بشرية.

العائلة كانت في غاية السعادة، والقرية بأسرها حضرت، وكأنها تكفّر عن همسات الشك والاتهام التي طاردت أريان سابقاً. الألسن التي نعتته بالمجنون ذات يوم، هتفت الآن باسمه وباركت حياته الجديدة. لقد صار رمزاً حيّاً لمعنى أن يسقط المرء في ظلمات القبر ثم يخرج منه إلى نور الوعد والوفاء و الحقيقة ..

وما كان غريباً في تلك اللحظة أن يشعر الجمع كلّه بظلٍ عميق يغمرهم، ظلّ شجرة الأراك وقد تحوّلت رمزاً لما هو أبعد من جذور وأغصان. كأنها امتداد لشجرة السماء التي حاورته في العالم الآخر، تُطل برؤياها على البشر جميعاً. كان الزفاف خاتمة لقصة هندية الطابع، لكنها على غير المألوف لم تكن خيالية تفتقر للمنطق العقلاني، بل حقيقة تشبه المعجزات : بطلها لم يتزوج فحسب في النهاية ، بل فتح نافذة على سرّ الخلود، على روحٍ قدسٍ أبصرت النور إلى عالم البشر أخيراً، فصار العرس احتفالاً بالحياة وبالحقيقة معاً ..

الروح هي السرّ الذي لا يشيخ، البذرة الأولى التي تظلّ نابضةً بالحياة حتى لو احترقت الحقول من حولها. نحن في حقيقتنا لسنا سوى عابرين فوق جسور من الطين والدم، أجسادنا أوعية هشة، تتشقق بمرور الأيام، لكن ما يسكنها يظلّ عصياً على الفناء. ذلك الصوت القابع في الأعماق، الذي يهمس لنا كلما أثقلت الهموم و الصعاب كواهلنا أن نستمر، هو ليس وهماً ولا صدى، بل هو الروح نفسها، الحارسة الخفية التي تدفعنا إلى التمسك بالحياة، إلى الإصرار على القيام بعد كل سقوط، إلى الإيمان بأن وراء الألم معنى، و وراء الموت قيامة.. كما فعلت فاطمة بعد أن تعرضت للاعتداء و فعل جوليان بعد أن أصيب بالشلل .. و كما تغني الفنانة الشهيرة ذات الصوت الملائكة ماريا كيري في أغنيتها الأيقونية (**بطل**) :

(يعلم الله أنه من الصعب اتباع الأحلام ، لكن لا تدع أحداً يدمّر أحلامك)

فالموت نفسه لم يتمكن من منع أريان من تحقيق حلمه بإثبات صحة قصته ثم بالزواج من محبوبته إيشا .. لأنه امتلك روحاً بإرادة فولاذية لا تلين مهما اشتدت نيران العقبات و الأهوال ..

لقد خُدع الإنسان طويلاً بالخلود المادي، بالبحث عن جسدٍ لا يشيخ، وعن عالمٍ لا ينهار. لكن الخلود الحقّ ليس امتداداً للّحم والعظم، بل انكشاف لسرّ الروح التي تُعيد خلق نفسها في كل آن. فما يذوي في التراب (الجسد الأرضي) هو قشرٌ زائل، وما يبقى في العلوّ (الجسد السماوي) هو جوهر أزلي.

وهكذا، حين نغادر جسداً، لا نُهزم، بل نستيقظ. الروح لا تعرف النهاية، بل تعرف التحوّل. الموت ليس انطفاءً، بل بابٌ آخر يُفضي إلى نورٍ أوسع. كل قيامة صغيرة في حياتنا ـ بعد الفقد، بعد الانكسار، بعد الخيانة ـ ليست سوى بروفة للقيامة الكبرى عندما تقرع الأجراس و تقوم الساعة ، الدرس المتكرر الذي يُعيد تذكيرنا أن الحقيقة لا تُدفن ..

في النهاية، لن يكتب الخلود للمادة ، بل للروح التي تسمع، تحب، وتشتاق. هي التي تشجعنا في لحظات الانكسار أن ننهض، وفي لحظات الرحيل أن نعود. ذلك الصوت الذي يسكنك و يناديك من عالم آخر بعيد، إن أصغيت إليه، سيقول لك أبداً :

(لا تستسلم فمستقبلي كجسد سماوي متوقف على استمرارك كجسد أرضي .. و ذكرياتي تصنعها أنت .. و من دونك أنا لا شيء)

روح ..

ملحق ثقافي ...

الروح في عالم الفنّ ..

منذ بدايات الإنسان، ظلّ هاجس الروح يطارده : ما هي؟ من أين تأتي؟ وإلى أين تمضي؟. ولأن اللغة وحدها عجزت عن وصف هذا الكائن الخفي، لجأ الإنسان إلى الفن ليعطي للروح جسداً يمكن أن يُبصر ويُسمع ويُلمس. لم يكن الفن مجرد زينة، بل كان استدعاءً لجوهر لا يُحاط به : الروح التي تتسرب إلى اللون والنغمة والحجر والكلمة والصورة المتحركة.

هكذا، صار الفن أشبه بمرآة تحاول أن تعكس ما لا يُرى. وفي كل حقبة وحضارة، وُجدت محاولات لتجسيد الروح مباشرة، دون استعارات معقّدة. فنرى لوحات صريحة عن الروح، تماثيل نُحتت لتسكنها الأرواح، موسيقا تُعزف لراحة الأرواح بعد الموت، نصوصاً فلسفية صريحة عن نشأة الروح ومصيرها، وأفلاماً تجعل الروح بطلاً رئيسياً في أحداثها.

عندما تنثر ألوان الروح على قماشة ...

في اللوحات، يصبح اللون نافذة الروح. ولعلّ أشد اللوحات صراحة في هذا الباب هي لوحة الفنان **بول غوغان** ، **روح الموت تتأمل** ، حيث نرى امرأة بولينيزية مستلقية بينما ظلّ أسود، رمز الروح أو الموت، يقف خلفها متأملاً. هنا الروح ليست فكرة مجردة، بل حضور بصري داهم، يذكّرنا بأن كل جسد تحرسه عين أخرى لا تُرى.

أما **فاسيلي كاندينسكي**، فقد أعلن بلا مواربة أن هدفه هو رسم الاهتزاز الروحي، وأطلق على بعض أعماله أسماء مباشرة مثل :

ارتجال الروح .. وكأنه أراد أن يحوّل اللوحة إلى عزف صوفي بالألوان.

خذ مثلاً آخر **لوحة روح الوردة** **لجون ويليام ووترهاوس** : امرأة تستنشق الوردة حتى كأنها تستنشق سرّ الوجود نفسه. هنا لا نرى مجرد وردة، بل نرى اتحاد الروح بالطبيعة، ذلك الامتزاج الذي يجعل الحياة نفسها صلاةً صامتةً.

عندما تنحت الروح بإزميل ..

النحت، في عمقه، لم يكن يوماً مجرد تشكيل للحجر، بل كان محاولة لفتح ممر للروح كي تسكن في المادة. **أوغست رودان** في عمله **روح الأبدية** جعل الروح جسداً مستلقياً يبدو كأنه يتهيأ

للطيران. والأنظمة الجنائزية القديمة، مثل تماثيل مصر الفرعونية، نُحتت لتكون أوعية تستقبل **الكا** أي الروح التي تعود لتسكن الجسد في العالم الآخر.

أما في الهند، فقد كان النحت وسيلة لتجسيد الروح الكونية في صور الآلهة، **كتمثال شيفا ناتاراجا**، حيث تُرى الروح راقصة في حركة كونية لا تنتهي.

عندما يعزف الإنسان على قيثارة الروح ...

وإذا كان النحت يمنح الروح جسداً ملموساً، فإن الموسيقا تمنحها جناحين. استمع إلى **القدّاس الألماني** للفنان **برامز**، وستشعر أن النغمات ليست ألحاناً بل رسائل مواساة للأرواح في رحلتها بعد الموت. أو أنصت إلى عزف **كارلوس ناكاي** على ناي الهنود الحمر في مقطوعته **روح الهنود**، حيث يتحول الهواء الخارج من الناي إلى أنين الروح وحنينها.

وفي الموروث الديني، لا تُفهم التراتيل المسيحية أو الأناشيد الصوفية إلا كأصوات موجّهة مباشرة إلى الروح : ليست أغانٍ بل مفاتيح سرية توقظ الداخل.

عندما تصاغ الروح بالكلمات ...

الأدب هو المكان الذي نطقت فيه الروح بالكلمات. في **رواية حي بن يقظان لابن طفيل** نجد قصة كاملة عن ميلاد الروح، رحلتها في طلب المعرفة، وانتهائها إلى الاندماج بالمطلق. وفي **فاوست لغوته**، يظهر الصراع بين الروح المشتاقة للخلاص والنفس الميّالة إلى السقوط. أما **أشعار جلال الدين الرومي**، فهي إعلان صريح : **أنا لست جسداً، أنا روحٌ تحلّق ..**

عندما تعيش الروح في الشاشات ...

أما السينما، فكانت المفاجأة الكبرى في القرن العشرين : صورة متحركة للروح ذاتها. في فيلم (**الشبح**) ، الروح هي البطل الذي

يظلّ بجوار أحبّته حتى بعد الموت. وفي فيلم **أي أحلام يمكنها أن تأتي ؟** نعيش تجربة الروح في العالم الآخر بين الجنة والجحيم، حيث يصبح الخيال تجسيداً مباشراً للروح.

الأكثر وضوحاً هو فيلم **الروح** لشركة ديزني/بيكسار ، الذي جعل الروح شخصية محورية، وعرض رحلتها قبل الميلاد وبعد الموت، في قالب فلسفي مبهر يصل الكبار والصغار. ولعلّ أجمل ما في السينما الآسيوية هو فيلم **المخطوفة لميازاكي**، حيث الأرواح ليست رمزاً، بل كائنات حاضرة تتفاعل مع البطلة، لتثبت أن العالم الآخر ليس بعيداً بل متداخلاً مع عالمنا.

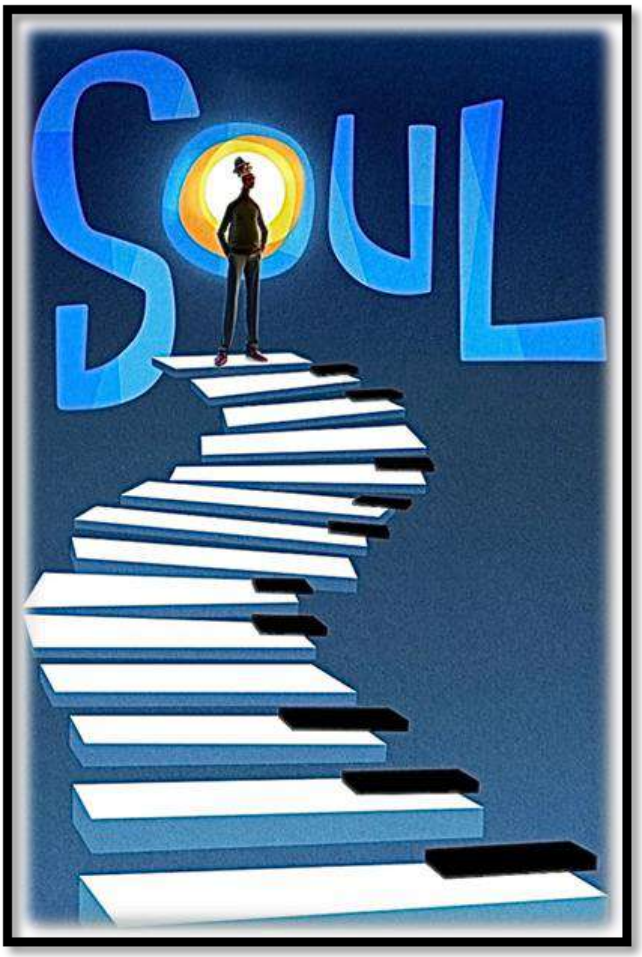

حين ننظر إلى هذه الأعمال المتفرقة ـ لوحة أو تمثالاً أو معزوفة أو نصاً أو فيلماً ـ ندرك أن الروح لم تكن يوماً موضوعاً ثانوياً للفن، بل هي جوهره. كل فنان حاول أن يضع يده على الخفيّ، أن

يمنح الروح جسداً، أو يحررها من الجسد. الرسم جعلها لوناً، النحت جعلها حجراً يتنفس، الموسيقا جعلتها نغمة تهزّ القلب، الأدب جعلها كلمة تنطق، والسينما جعلتها صورة متحركة تعيش بيننا.

الروح، إذن، ليست فكرة ميتافيزيقية بعيدة، بل حضور دائم في تاريخ الإبداع. إنها الحقيقة التي يلتف حولها الفنانون عبر العصور، لأنهم يعرفون ـ بوعي أو دون وعي ـ أن الإنسان لا يُقاس بجسده، بل بما يسكن هذا الجسد من سرّ لا يفنى.

وحين نتأمل هذه الأعمال، ندرك أن الفن لم يكن في جوهره إلا محاولة لتوثيق وعد الروح : أن هناك ما هو أعمق من المادة، وأن الحياة، رغم هشاشتها، مسكونة بما هو خالد.

روح ..

محتوى الكتاب :

- أفاتار ..
- شجرة الأراك ، حيث تبدأ الحكاية و تنتهي ..
- صرخة صخرة ..
- عنخ أوم ..
- العالم الآخر (حيّ بن يقظان) ..
- زهرة أبوردة ..
- لوح الويجا ..
- متى تقرع الأجراس ؟
- حلم .. حقيقة .. أم مرض نفسي .. ؟!

رواج